عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 132 / 17 حزيران 2019

اثناء القصف في معرة النعمان
عدسة سعد زيدان - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

أسطورة المغني المقاتل... الساروت متظاهراً حياً وشهيداً

لطالما كان أحد الذين يريد نظام السفّاح بشار الأسد قتلهم، وكلّ من أيد الثورة السورية يوماً يعرف هذه الحقيقة، بل إنّه نجا من محاولات اغتيال وإصابات عدّة قبل أن يستشهد في المكان الذي يناسبه، ساحة المعركة، والشرط الذي يناسبه، في لحظة انفجار، وبالأثر الذي يناسب حدثاً كهذا... قيامة ثانية للثورة.

عبد الباسط الساروت بألقابه العديدة كان رمزية سعى النظام وحلفاؤه والمليشيات الإرهابية التي تقاتل في معسكره إلى طمرها، وكأيّ قتلة، لا يملكون حلولاً ضد خصومهم سوى التوهم بأن موتهم سينهي وجودهم.

قتلوا "بلبل الثورة" و"منشدها" في ظن مواراة الرمزية التي أوقدت ساحات حمص وشوارعها في بواكير الثورة السلمية، لتنفجر في وجوههم أسطورة "المغني المقاتل" وتعيد إنتاج صورة جلبوا كل إرهابي وقعت عليهم أياديهم لشطبها، توحّد السوريون وراء الفجيعة، وشُيّع الشاب ذو الـ27 عاماً ملايين المرات في كل سطر كتب عنه وكل أغنية ترددت في جنازته الجامعة.

فشلت أمواج الشماتة والتشفي في إخفاء أنّه قاد ميتاً إحدى أكبر التظاهرات في تاريخ الثورة الدامي، وتهاوت الافتراءات أمام قيمة الحقيقة التي نفض استشهاده عنها غبار اليأس والفوضى... الثورة وقرتْ في وجدان السوريين ولا سبيل لإزاحتها، ولا معنى لإنكارها، ولا طريق لتذويبها في جحيم المذابح والأسلحة الكيماوية والبراميل ومسالخ التعذيب وحصار التجويع.

استشهاد عبد الباسط الساروت كان حدثاً متوقعاً في خضم حرب يخسر السوريون فيها يومياً أرقاماً ينوء بها الإحصاء من المدنيين والمقاتلين، وهو لم يكن يوماً في بساطته وعفويته ومزاجه البدوي ليضع نفسه في موقع أعلى شأناً من أيّهم، لكنّ رمزيته الكاسحة التي بدأت بشاب غادر للتو سنيّ مراهقته ليتصدر مشاهد ثورة عارمة تجتاح مدن وقرى سوريا، هي ما منحته حظوة مرافقة تحولات الثورة يوماً بيوم، ليرسم اختصاراً لجيل كامل سحقته الحرب، ودمغت شناعات ومذابح الأسد حياته، وغيرت مصائره في أتون الدفاع عن الحياة بدفع الموت عنه، وإن كان الموت هو الثمن.

وبدل أن يكون الساروت نجماً يحرس اسم سوريا على خط مرمى ملعب كرة القدم، بات عليه أن يكون نجماً يحرس اسم سوريا على الأكتاف متظاهراً وشهيداً.

3 عن تميم صائب والدير التي قتلت مبدعيها

4 طرق الزيارة الوعرة إلى منبج وشرق الفرات

8 هجمات النظام في ريف حماة

11 الطلاق المبكر.. ظاهرة تنتشر في مخيمات الشمال السوري

12 خيم العزاء في الساحل وهاجس الهرب من الموت

16-15 عملية «الاكسبريس السوري»..كيف احتلت روسيا سوريا

17 الدراما السورية والخروج على المنتِج الحقيقي

19 كريم شيباني وابنته سهير

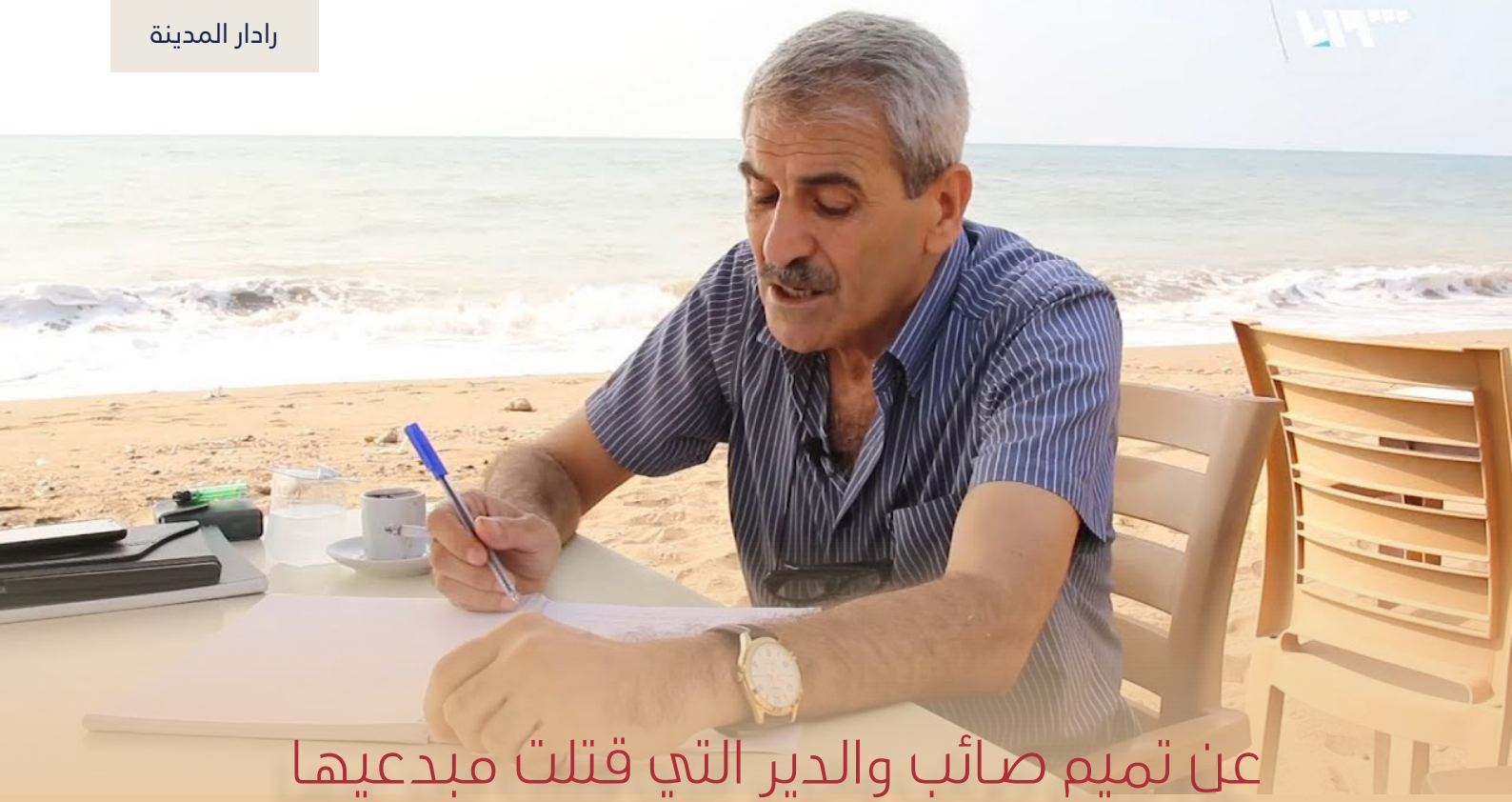

عن تميم صائب والدير التي قتلت مبدعيها

أحمد طلب الناصر غصّة أخرى في حلوقنا تصنعها دمعات حبستها العيون، فضَلّت الطريق لتخنق أنفاسنا، نحن أبناء الاغتراب والتهجير والحزن المزمن.

تميم، الكاتب الحسّاس والأديب المتواضع والشاعر، الذي فضّل العيش مغموراً، قتله القهر قبل أي شيء آخر؛ قهر تهجيره وانسلاخه عن الفرات الذي عشق، وعن المدينة التي التصق فيها كما الروح والجسد، ديرالزور، مدينة الجراح والقسوة والأغاني الحزينة.

أتساءل دائماً عن سرّ ذلك الارتباط الحميمي المقدّس بين الدير وأدبائها، يبحثون فيها عن قصيدة أو قصة أو رواية، عن حبّ فقدوه، أو صديق عتيق، أو سهرة "چرداق" مطل على جسرها، الذي كان معلّقاً، وأضحى اليوم حكايةَ فاجعةٍ غافيةً على الفرات.

بالنسبة إلي، لم يشكّل نبأ وفاة تميم مجرد حزن لفقدان كاتب أو غياب شاعر، بقدر ما كان غضباً قديماً ظلّ يلتهمني منذ غياب كاسر حبّاش ثم خليل كرك فـ صخر العبد الله وإبراهيم خرّيط، والذبيح بشير العاني، في صور موتٍ عبثيةٍ، تشابه حيواتهم داخل مدينةٍ لم تغبْ عن سطور قصائدهم وقصصهم وحَكايا الحنين فيها، فغابوا عن سطور حواريها وحكايا الديريين!

أعلم جيداً بأن البعض من أبناء مدينتي سيصنّفني بخانة المتحاملين عليها وعلينا، نحن أبناءها العاقّين، لذلك سأسرد عليكم ما حصل قبل تميم بعقدين ونيّف، حين كنت أتردّد إلى مكتبةٍ يعرف قاعاتها جميع طلاب الدير الدارسين في جامعة دمشق؛ اسمها الكريه يمنعني من ذكره.

خلال تواجدي في إحدى المرات، خرجت من قاعة القراءة متوجهاً كعادتي نحو صالة (الأرشيف)، ولا أعلم حينها ما الذي دعاني لرفع نظري، ولأول مرّة، نحو سقفها المرتفع.

تدلّت من زاوية السقف ستّ لوحات كبيرة ضمّت كل واحدة منها صورة ضخمة لكاتب سوري مميّز ساهم في إغناء المكتبة بمؤلفاته وبكتبٍ ثمينة تبرّع بها، وكُتِب بجانب كل صورة شرحاً عن صاحبها. اثنان من تلك اللوحات خُصّصت لكاتبين وأديبين من مدينتي؛ الأولى لـ عبد القادر عيّاش والثانية كانت لـ سعد صائب. تسمّرت في مكاني لأكثر من نصف ساعة وأنا أتفرّس صورتيهما وأقرأ ما كتب بجانبيها.. أذكر تماماً بعض ما قرأته عنهما، الأوّل له أكثر من سبعين مؤلفاً في التاريخ والآداب، والثاني تجاوز التسعين في كتابة الأدب والفكر والترجمة عن الإنكليزية والألمانية.

كنت وقتذاك في العشرين من عمري، وكنت حينها قد قرأت للعديد من مؤلفي سوريا وعرفت أسماء غالبية أدبائهم وشعرائهم وكتابهم، كالعجيلي وسليم بركات ورياض صالح الحسين، كنت أعرف الماغوط وفايز خضّور وزكريا تامر ووليد إخلاصي، كنت أقرأ لغادة السمّان وحيدر حيدر وصادق العظم. كنت أعرفهم وأعرف الكتّاب العرب أكثر منهم، وأقرأ لمؤلفي غرب العالم ومشرقه كذلك أيضاً..

كنت، وأنا في سنّ العشرين، أعرفهم كلهم وقرأت لمعظمهم، ولكن لم أكن أعرف من الدير أحداً قبل رؤيتي لتلك الصور. أما الشاعر محمد الفراتي، فلم أكن لأعرفه رغم قصيدته "نهر الفرات" التي ضمّها كتاب اللغة العربية المقرر في المدرسة، وعلمت بأنه ابن المدينة لاحقاً بعد نصب تمثاله عند باب المركز الثقافي من خلال لوحة التعريف المنقوش عليها نبذة عن حياته؛ وحتى ذلك التمثال لم يسلم من سخريتنا وانتقاداتنا لتاريخ الشاعر الفراتي، الذي ما زلنا نجهل بأنه أول من ترجم قصيدة رباعيات الخيام عن الفارسية!

هزّتني من العمق كلمات الرثاء التي وجهها الصديق إسلام أبو شكير لرفيق دربه تميم حين قال: "من يعرف تميم صائب يدرك إلى أيّ درجة فرّطت هذه البلاد التافهة بمبدعيها، أيّ نوع من الجرائم ارتكبت بحقّهم، ويزداد الأمر بشاعةً حين تقارن طاقة تميم المذهلة بأولئك الذين لا يحسنون أكثر من فكّ الحرف، ومع ذلك هم ولاة أمر الكتّاب والأدباء والفنّانين".

أما أنا، فلن أتحدّث عن تميم صائب، ولا عن شاعريته، ولا عن أدبه ومؤلفاته؛ ولن أتكلّم عن تأسيسه لأول دار نشر في الدير ساهمت بطباعة قصائد وقصص شعرائها وأبنائها الجدد وأخرجت أوراقهم إلى النور قبل أن تحترق داخل أدراجها بمدافع وطائرات مؤسس تلك المكتبة في دمشق. ولن أسرد لكم قصص أقرانه الذين لفظناهم ورميناهم خارج ذاكرتنا، فاحتضنهم الفرات، أو لاذوا بمدنٍ لا يهزّها حنين غريب ولا قصائد الفرات.

لكن دعوني أدعوكم لنكفّر عن ذنوبنا لوحدنا، دعونا نبحث عن سطورهم بمفردنا؛ وحين نجدها سنكون قد قدمنا العزاء لهم، وسيفرحون.

وداعاً تميم، وليسامحنا الله.

متداولة لمعبر تركي

"أمي التي لا تزال ترتجف ما إن دخل أحد منزلنا بسرعة، أو سمعت صوت رصاص أو انفجار، يتبدل لون وجهها رغم أن ملامح الكبر ارتسمت عليه، أجزم أن دقات قلبها تزداد أكثر فأكثر كل ما سمعت اسماً يلفظه القادم إلينا.. لقد تعودت على الخوف، كانت فضلت الجلوس عند أخي في تركيا على العودة لمنبج، لكنها قررت أخيراً زيارتنا، وحين تجاوزت تلك الحواجز قالت.. أف أيمت أرجع لتركيا؟"

طرق الزيارة الوعرة إلى منبج وشرق الفرات..

عدنان الحسين

يسرد محمود لعين المدينة جزءاً من رحلة أمه القادمة من تركيا لزيارة عائلته وأخوته في إحدى قرى ريف منبج، ويقول "أمي لم تعد تشعر بالأمان في قريتها ولا في المناطق الأخرى، كانت تقول سابقاً قبل سيطرة قوات "سوريا الديمقراطية (قسد)" ومن قبلها داعش على المنطقة، أن أشكال المقاتلين كانت آنس من الآن، ولكن حتى المقاتلين في درع الفرات من الجيش الحر لم يعودوا كما كانوا من قبل، كل شيء تغير حتى شعورنا بالخوف والأمان تغير إلى غير رجعة".

يبقى تنقل النساء أيسر في معظم المناطق السورية حيث لا يُضيّق كثيراً عليهن، لكن المعضلة الأكبر تواجه الشبان الذين اضطروا لمغادرة مناطقهم في منبج وشرق الفرات هرباً من قرارات تعسفية من سلطة الأمر الواقع، حيث لم يتمكنوا من زيارة مناطقهم.

يقف عبد الله على شرفة منزله في مدينة عنتاب التركية يفتح في هاتفه الجوال مكالمة جماعية عبر الفيديو ليتصل بأمه وأبوه، يقول "كل عام وأنتم بخير، صحيح أنه العيد الثامن الذي لا أراكم فيه سوى عبر الهاتف، لكن تبقى نعمة" ترد عليه أمه "ابني هي البلد ما فيها شي، لا كهربا ولا مي مثل الخلق، حتى الهوى صار يخنق.." تحاول أن تعدله عن قرار المجيء لمنبج خوفاً من اعتقاله كونه كان يعمل بفصيل للجيش الحر، فيما يرد عليه أبوه "اشتغل أحسن من هالكلام الفاضي، لا تفكر بالنزلة، أصلاً نحن عم نفكر نطلع لعندك.." تنتهي المكالمة.

يقول عبد الله (25 عاماً) لعين المدينة، بأنه في كل عام يفكر في العودة لمدينته، لكن والده يمنعه إضافة إلى ظروف المدينة. فعندما سيطرت قسد عليها داهموا منزله وبحثوا عنه واعتقلوا أحد أخوته ثم أطلقوا سراحه، "لازلت أرى الأمر معّقداً، لا طعم للعيد وسط كل هذه الفوضى".

وعلى طريق جرابلس الواصل إلى مدينة منبج ترجل موسى المحمد حاملاً حقائب كبيرة، حملته إحدى الحافلات ثم توقفت به على الخط الفاصل بين مناطق سيطرة الحر وسيطرة قسد قرب منبج المعروف بحاجز (عون الدادات)؛ من هنا يجب أن يمشي على الأقدام حاملاً حقائبه.

يروي عن شعور الخوف الذي راوده منذ لحظة الدخول من معبر قرقميش التركي المقابل لمدينة جرابلس حيث انفجرت حينها سيارة مفخخة وسط السوق فيها، وعثروا على ألغام ومتفجرات أخرى واتهموا بوقوف قسد وراءها، "لحظة وصولي حاجز قوات قسد بدأوا التفتيش، ثم أخذوني لغرفة صغيرة للتأكد من اسمي ومعلوماتي، كانت لحظات مرعبة بالنسبة إلي، لا أدري كيف أصفها، اعتقدت أني أخطأت الطريق وذهبت لمناطق النظام، لكن أسعفني وجود أحد العناصر الذي قال لهم أنا أكفله، إنه من منطقتنا".

ينقل موسى مما سمعه أن أكثر من ألف شخص يدخلون من هذا المعبر، يتعرضون للتفتيش والتحقيق رغم أنهم من أهالي مدينة منبج، ثم يخضعون للتفتيش مرة أخرى في حاجز مدخل المدينة، ويحتجزون لساعات حتى يكفلهم أحد أهاليها. "بكل صراحة، الناس ضاقت ذرعاً بهذا الحال" يقول الشاب. بالقرب منه يقف شاب تم توقيفه لأنهم "مسكوا عندي الكيملك التركي والإجازة وأخذوهن، وتعرف ما رح أقدر أرجع بدونهن"، هكذا لخص الشاب وضعه لموسى على عجل.

وبالفعل اعترضت معضلة أخرى المدنيين العائدين من تركيا إلى مدينة منبج، وهي البطاقات المؤقتة التي أصدرتها تركيا للاجئين "الكيملك"، حيث قام بعض عناصر قسد بإتلاف بعضها ومصادرته بحجة التبعية لتركيا، دون تقديم أي شرح لشكل التبعية التي يقصدونها.

لا توجد إحصائيات دقيقة حول المدنيين العائدين إلى منبج وشرق الفرات، لكن بحسب مصادر عسكرية من جرابلس بلغوا أكثر من خمسة آلاف شخص معظمهم عائلات، وقلة من الشبان الذين ذهبوا إلى منبج ربما لغير عودة.

في إحدى القرى شرق الفرات، وتتبع لمدينة منبج، كان اجتمع أهلها محتفلين بإطفاء أحد الحرائق التي نشبت فجأة في أحد الحقول صباح العيد، لكن عدم اكتمال نضج القمح ساعد في إيقاف وإخماد الحريق، لسوء حظها كانت أم محمود هناك. يقول محمود "عندما رأت أمي الحريق بدأت البكاء والصراخ، أرسلتني وأخوتي سريعاً لنساعد في الإطفاء، كانت تعتقد منذ عودتها أن فاجعة ستحصل".

تغيّر بقع السيطرة وشكل سلطة الأمر الواقع فيها، وفرض شكل وأسلوب جديد من الإدارة ضد رغبة أهالي مناطق منبج وشرق الفرات، حمل معه الكثير من الكره والحقد، خاصة بعد الموجة الأخيرة الكبيرة من الحرائق التي طالت أغلى ما يملكه الناس هناك، وتنذر بغضب كامن وانفجار كبير.

الامتحان في سوريا الأسد وأشياء أخرى

اعتقال طلاب بسبب الغش ٢٠١٧ (فيسبوك)

ريا فارس

في صباح التاسع من حزيران ذهب الطلاب لتقديم امتحان الشهادة الثانوية مفعمين باليأس، خاصة الشباب، فالهدف الوحيد لمعظمهم هو النجاح لتأخير طلبهم للخدمة الإلزامية، أما المستقبل المجهول فيبدو فيه النجاح والرسوب سيان، فمعظمهم يبحث عن فرصة للهرب من البلد التي تتآكل بالعجز، أما الأهل فيعلمون أن عليهم في مستقبل قريب توديع ابنهم.. فهم الآن في جرمانا الأسد.

يمر الامتحان في سوريا بفجائعيته المعهودة، ربما طعم أيامه المريرة من الأشياء التي احتفظ بها السوريون على مدى عقود حتى اليوم، التجهيز له كالتجهيز للحظة إعدام يتمنى معها ذوو المتهم "إصدار عفو" ما عنه، أو حدوث معجزة سماوية تنقذ فقيدهم. النتيجة مأساوية على الدوام، فالرسوب يعني السقوط النهائي إلى القاع، ويعني في المقام الأول وسماً أبدياً يخرج صاحبه من حظيرة "الصفوة"، أما النجاح فدخول في متاهة الحياة الجامعية المكدسة بالعاطلين عن العمل، والتي تعمل وفق حسابات سلطوية ارتجالية بعيدة كلياً عن الواقع والسوق. عدا عما صبته حرب النظام على رؤوس الشباب.

ماهر في الثامنة عشرة من عمره، يتلقى علاجاً من اكتئاب أصيب به قبل عامين، ما منعه حينها من إكمال دراسته، ويحاول اليوم النجاح في الامتحان بأي ثمن: "ما عندي حل لازم أنجح أو بنطلب ع الجيش، وإذا ما نجحت راحت عليّ"، يبدو نظام التقدم للشهادة الثانوية هزلياً ومريباً، فالطالب يحق له الإعادة في العام التالي في حال نجاحه، أما في حال الرسوب فيحرم من تلك الفرصة ليبقى أمامه خياران، إما الالتحاق بالجيش أو مغادرة البلد بأي طريقة.

يستطيع بعض الأهل تأمين الدروس الخصوصية، يقتطعون من لقمة العيش ويرسلون أبناءهم إلى معاهد معلوم أن بعض أساتذتها يستطيعون تسريب الأسئلة، وهو ما يحصل كل عام في بعض المواد. أما وزارة التربية فلم تعد تأبه حتى لمصير الأطفال المتسربين من المدارس، لتطغى الأمية بينهم وتنتشر عمالة الأطفال، فالأهل لا يستطيعون تحمل إرسال أبنائهم للمدرسة، والبعض بحاجة للدخل الذي قد يحصل عليه الأبناء الصغار، والبعض يعتمد كلياً على ذلك الدخل.

في الصباح ينطلق محمود وهو في الثانية عشرة من العمر حاملاً علبة فيها قداحات، يشتري القداحة بمئة ليرة ويبيعها بمئة وخمسين، يمر بين السيارات عند إشارات المرور؛ يبدو عمله شكلاً من أشكال التسول، لكنه يرفض أن تعطيه نقوداً دون أن تشتري، ويرد عليك بعصبية: "أنا ماني شحاد". يخجل محمود من أميته، لكنه في الوقت نفسه يتحدث كرجل فخور بعمله ومساعدة عائلته النازحة من عين ترما: "ما عندي وقت للدراسة، حاولت بس ما قدرت، لازم ساعد أهلي"، ينهي حديثه ويمضي على عجل ليبيع ما لديه، ويحصل على ما يكفي لشراء طعام الغداء.

تسطع الشمس بلا رحمة فوق الرؤوس فنهرب من حرها إلى الظل، تلمع الفاكهة بأسعار لاهبة ولا أحد من الواقفين يعرف من سيشتريها، يضع أبو حسن السمان بسطة خضار وفاكهة أمام محله، "مين رح يشتري بهيك أسعار، الزبون بيجي بياخد حبتين بطاطا، حبتين بندورة وبصلة، الناس ما معها تاكل". استدان أبو حسن وجمع كل ما لديه من نقود وأرسل ابنه البكر إلى أربيل، يعمل الشاب مهندس الاتصالات هناك مدرساً للغة الإنكليزية، ودخله لا يكفي لكي يرسل لعائلته ما يكفي لسد ديونهم، وأبو حسن يأمل بمعجزة ما في السنوات الثلاث القادمة تساعده على إرسال ابنه الثاني الذي مازال يدرس في كلية العمارة إلى مكان آخر قبل أن يبتلعه اليأس.

يذهب من تبقى من الرجال إلى أعمالهم بعيون يملؤها الفراغ، فقد قتل العجز أرواحهم وتآكلت قلوبهم، يعلمون أن الراتب الذي سيقبضون عليه كثروة في آخر الشهر، لن يكفي إيجار المنزل، أو تكاليف المعيشة، ولن يسد الديون التي تتراكم فوق رؤوس الجميع. عمر في الخمسين من عمره نازح من القدم يعمل شرطياً في وزارة السياحة، عمله يتضمن تسجيل المخالفات التي تتعدى على المناطق الأثرية داخل أسوار مدينة دمشق القديمة، يرفض الرشوة ويعلم أن تقاريره بلا جدوى، فالرشاوى دفعت لمن هم أعلى منه، "بحس حالي عم قاتل طواحين الهوا".

الرجل عاشق للمدينة، ويعلم كم من الحقب التاريخية مرت عليها، يتحدث عنها بشغف، ويعلم أن حربه الصغيرة خاسرة، "الآثار اللي ما دمرها الطيران والمدافع رح يدمرها تجار الحرب محدثي النعمة" يقول عمر، ويؤمن أن المدينة التي صنفت كمدينة أثرية في العام 1979 ستخسر تصنيفها عاجلاً أم آجلاً.

كل شيء هنا على وشك الانهيار، أبنية وبشر تنوء تحت أحمال من الجشع والإهمال، ويزحف ما تبقى من أرواح بلا هدى.. بلا أمل.

بين الموت والحياة.. والفشل في التقاط اللحظة

ص- بعدسة الكاتب

أسامة الشهاب صوت انفجارات قوية جعلني أستيقظ مرعوباً، سرعان ما تذكرت ماكنت أفكر به حين غفوت منذ ساعتين أو ثلاث، بعد ليلة مرهقة أمضيتها مواسياً محمود الذي قضى ليلته تحت 160 صاروخاً في بضع ساعات اخترقت سماء الهبيط بليلة واحدة. كان يسألني ويكرر السؤال مراراً "كم الساعة؟ كم بقي للفجر؟ هذه أطول ليلة بعمري.. أريد أن يطلع الفجر حتى أخرج أهلي من تحت القصف" كان آخر ما كتبه.

كنت أواسيه وأخفي عشرات الهواجس: هل سينجون؟ ماذا سيحل بالهبيط المكتظة بالسكان؟ هل ستنحرف الراجمات والمدافع قليلاً فتصبح وجهتها قريتي؟.. ليس لدي ما أقوله عن قريتي عابدين التي لم يسمع بها الكثيرون سوى بساطتها وطيبة أهلها. لم يتجاوز عددهم حتى الآن ألفي شخص، يعيشون في 250 بيتاً تقريباً تشكل الجانب العمراني الحديث الذي تراكم خلال عقود بشكل متباعد شأن كل القرى في العالم؛ تتبع إدارياً لمنطقة خان شيخون، فيها مجلس محلي نشاطه ضعيف يشكل المكتب الإغاثي لبّه، لم يتجاوز إيجار البيت فيها ثمانية آلاف ليرة سورية، وترتفع 650 متراً عن سطح البحر، ويمكن اعتبارها مصيفاً في وقت سابق بجو بارد شتاءً ومعتدل صيفاً.. إذن هكذا سيكون التعريف بقرية عابدين في ويكيبيديا لو قيض لأحد أن يكتب عنها، لكن ذلك سيستثني (روحها) ويقصيها.

كيلو متر واحد يفصل قريتي عن الهبيط التي كانت تُدكّ بالصواريخ حين كنت أواسي صديقي، وأحاول منحه الأمل من قلب خائف أيضاً، قبل أن أغفو هارباً من هواجسي وتخوفاتي حين غاب محمود عن الإنترنت. عندما استفقت على أصوات القصف، تذكرت كل شيء عشته قبل غفوتي، علمت أن دورنا بالقصف قد أتى، أزيز صواريخ وأصوات انفجارات من جديد في الحي المجاور خلف منزلي، وأصوات الصراخ تملأ الدنيا "انزلوا للملاجئ..". هنا سأمضي لكاميرتي وأصعد إلى سطح المنزل لرصد والتقاط كل ما تطاله عدستي، كما فعلت لسنوات كناشط إعلامي، لكن -على غير العادة- شيء ما منعني، هاجس قال لي أن القصف لن يتوقف حتى يغطي كل قريتك الصغيرة، ثم فكرت أن أتجه للغرفة التي علقت بها الكاميرا، وأن أحملها وأنتظر الهدوء بزاوية ما كي أصور، لكن دفعة صواريخ جديدة جعلتني أهرول مسرعاً إلى الملجأ دون أن أصل إلى الكاميرا.

كان أهلي قد سبقوني إلى الملجأ، مازال مشهدهم في مخيلتي واقفين بحجرة من حجر المغارة الرومانية -نسيت أن أضيف أن قريتي تحوي الكثير من تلك المغارات- لم يكونوا جالسين، كأن أعصابهم لم تسمح لهم بالجلوس، أو الخوف والتوتر منعهم. كنت متيقناً أنهم يظنون أن القصف عابر وسينتهي كالعادة ببضع قذائف، كانت الوجوه المرعوبة تستفز تفكيري لإيجاد طريقة أخبرهم فيها أن الأمر مختلف هذه المرة، لكن كيف سأشرح لهم في هذا التوقيت والجو ماذا يعني إفراغ المناطق من أهلها وهدم بيوتها، وقصص المنطقة العازلة والكثير من الاحتمالات والسيناريوهات السياسية الصعبة؟ قطع تفكيري دخول عائلتين إلينا، إحداهما من الجيران الذين لا يملكون ملجأ، والأخرى نازحة لديهم؛ انتظر الجميع تحت سقف ذلك الكهف ينتظرون الفرج، ومع كل انفجار يرتجفون مسمرين بأماكنهم، ويكبرون ويذكرون الله بقمة الرعب.

افتقدت الكاميرا أمام هذا المشهد، كان القصف يفصل بيني وبينها، وثلاث عوائل من الرجال والنساء والأطفال الذين أصبحوا الآن جالسين متحلقين حول نقطة ما في تلك الحجرة المدورة، يواسي بعضهم البعض.. تركوا مشهداً مطبوعاً بمخيلتي فيه همسات عن أنهم لن ينزحوا، وأن القصف سيتوقف بعد قليل.. صمتّ أمام أملهم الذي كان عزيزاً في ذلك الوقت.

صرخت أمي "بيتنا راح"، بعد انفجارات قوية جداً هزت الملجأ. غضبت منها لذكرها فأل الشر، وبعد دقائق خرجت مسرعاً للبيت، كانت البراميل المتفجرة قد سقطت في حديقته فعلاً وشوهت مدخله، لفت انتباهي منظر عريشة العنب وقد سقطت وتداخل الحديد بالأغصان بالورق.. دخلت مسرعاً إلى أخي المريض الذي كان بمكانه كعادته، وكل شيء حوله مندثر والغبار يملأ المكان، كان صامتاً يراقب ما حوله مذهولاً بما حدث، حملته بسرعة للملجأ. هنا لم يخطر ببالي أن أصور، رغم أن مشهده وهو يجلس بين الأغراض المندثرة المغبرة كان

مشهداً يصور حجم الإرهاب، لكن إنقاذه أهم، أم أن أرواحنا أهم من رصد الجريمة؟.

بعد أن هدأ القصف لدقيقتين عدت لحديقة البيت لأصور، رأيت دجاجة مقتولة تحت العريشة، تجاهلتها.. لم أكن أريد أن أرى أي مظهر من مظاهر الموت حتى على الحيوانات. أكملت إلى صدر المنزل، توقفت ونظرت إلى صندوق ذكرياتي منذ الطفولة كيف تشوه هيكله. أخرجت هاتفي لأصور ما هدمت البراميل، قررت الاعتماد على عدسة الهاتف، رغم أن الكاميرا أصبحت قريبة لا يفصلها عني سوى عشرين متراً، لكن لا أعلم لماذا أحسست أنها عشرون كيلو متر، وأن القصف سيصلني إن توجهت إليها.

وفعلاً، ما أن أخذت صورة حتى توجّه صاروخ نحوي، لا أذكر كيف شعرت به، ما أذكره أني ارتميت أرضاً، والصاروخ انفجر فوق سطح بيتنا على بعد عشرين متراً مني فقط، سمعت صوت الشظايا تتطاير، كان إحساساً غريباً ومخيفاً لا أجيد وصفه، لكن سرعان ما تحول لثقة بالله أني سأسلم منها. عدت مرغماً للملجأ، حيث بدأت الراجمات والقذائف برشق القرية الصغيرة بموجة أخرى.

ظهرت في إحدى زوايا المغارة امرأة عشرينية مغبرة الملابس تضم طفلها وتبكي، لم تكن من حارتنا، سمعتها تقول لأمي حين سألتها "كنا بالمغارة وقصفها الطيران وهدمها علينا، ولا أعلم ما حل بمن كان معي، لكنهم بخير.. أظن أنهم بخير" أنا واثق أن المرأة لا تعرف مغارتنا ولم ترها بحياتها، لكني لا أعرف كيف وصلت إليها. وعندما تحدثت برعب وقلق ووصفت ماذا جرى بمغارتهم رأيتها بعين الصحفي، انتابني إحساس أنه يجب أن يرى كل العالم مشهدها الآن، كما أراه أنا: امرأة خرجت من ملجأ دمرته الطائرات فوق ذويها، تحتضن طفلها بقوة، لم يتسنَّ لها معرفة حال أهلها، لكن كان بيني وبين أن أوصل حالها هذا للإعلام عشرات الراجمات، وثلاث مروحيات وحربية فوق القرية، كلها تحول بيني وبين الوصول إلى الكاميرا.

أخرج جارنا سيجارة وتقدم لابنه الشاب قدمها وقال له "دخنلك سيجارة." لا يدخن الشباب في القرية أمام آبائهم، لكن الشاب أشعل السيجارة، ووالدي الذي لا يسمح بالتدخين أمامه لم يحتج.

انفجار قوي آخر أرعب الجميع أراد أن يخرج بعده جارنا، بدأ ابنه الصغير بالصراخ رافضاً خروج والده، وكأنه يخرج للموت، حتى صار يترجاه "بابا لا تطلع"، يكررها ويبكي حتى منعه من الخروج، مشهد دفعني للتفكير مجدداً بالمغامرة والخروج لإحضار الكاميرا، ومجدداً استسلمت، ثم أني لو قررت لن تسمح لي أمي. كنت أعلم أن بيتنا قصف لكن لم أجد طريقة لأخبرها بذلك، فأريتها الصورة.. أجهشت بالبكاء، ثم تركت كل شيء وركزت على حوض الورد الذي صرفت لصنعه يوماً كاملاً، أنجزته قبل القصف بيوم. قتلت البراميل لها حلم الورد، والقعدة الصيفية قربه.

هدأ القصف قليلاً، خرج الجميع للسيارات وبدأت الناس تنزح، لم أشاهد أحداً اطمأن على أحد سوى صديقة أمي "أم محمود الحموية"، أتت من الحارة الأخرى تلهث لتطمئن علينا، "الحمد لله على السلامة" ومضت مسرعة. انشغالي بتسفير أهلي كان أهم من أن أصور هلع الناس في الطرقات.. لم أستطع رصد آخر مشهد من أهوال القيامة.

بعدسة الكاتب

دقائق وخلت القرية من البشر، لم يبق إلا بضع شبان هنا وهناك، وبضع رجال في المقبرة يجهزون قبراً. اختبأت خلف جدار معاكس لوجهة القذائف، وأخرجت هاتفي نقلت لزملائي بغرفة الأخبار ما جرى، ثم أتت المروحيات من جديد، دخلت لغرفتي وتساءلت ماذا سأخرج معي، ينتابني إحساس أنها قد تكون المرة الأخيرة التي أدخل فيها الغرفة، احترت ثم أخرجت كاميرتي المغبرة من القصف فقط وخرجت.

مع وصولي إلى الكاميرا وصلت المروحيات من جديد، غادرت قريتي ولم أوثق شيئاً من تفاصيل الجريمة في الخامس والعشرين من نيسان الماضي، ثلاث ساعات لم تعطني فيها ضخامة الجريمة فرصة لرصدها.. قبل مغادرتي التقيت بجاري في الدفاع المدني، وكان قد هدم القصف بيته، كلمني بحشرجة وهو يحبس الدموع، لم يرفع الأنقاض هذه المرة كما كان يفعل بمنازل الآخرين، ألقى بنظرة على ركام منزله ثم مضى.

من أحد المغارات الرومانية المستخدمة كملاجأ - بعدسة الكاتب

هجمات النظام في ريف حماة تكبد المناطق المحررة خسائر اقتصادية فادحة

أحمد العكلة

تزامن هجوم ميليشيات النظام على ريف حماة الشمالي وقلعة المضيق مع بدء حصاد المزروعات في منطقة كفرنبودة وجبل شحشبو وسهل الغاب، نسغ الحياة للمناطق المحررة، بالإضافة إلى منطقة باب الطاقة وقلعة المضيق التي ينشط غالبية أبنائها في تربية الأسماك وتعتبر المنطقة الأكثر توريداً لها للشمال السوري.

يكوّن سهل الغاب ومنطقة الطار إذا ضُمّ لها ريف سراقب، المصدر الغذائي الأول للمناطق المحررة في الشمال السوري، تمد مناطقه صيفاً بالقمح والخضروات والبقوليات ابتداءً من ريف حماه وحتى أرياف حلب وصولاً إلى جرابلس، أما المحاصيل المزروعة حالياً وخسرتها المنطقة فيأتي القمح على رأسها في الغاب، ويزرع فلاحوه أراضيهم به بنسبة 90%، في حين يعد محصول مزارعي كفرنبودة والقصابية وتل هواش الأساسي الحالي البطاطا وبعض أنواع الخضروات الأخرى، وقد أدت سيطرة النظام على تلك المناطق الزراعية إلى شحّ تلك المواد في المناطق المحررة، حسب ما يشرح محمد عنيزان رئيس الوحدة الإرشادية في قرية الشريعة.

قامت ميليشيات النظام بسرقة المحاصيل من خلال استئجار ورشات زراعية لجنيها. عبد الله الجاسم (50 عاماً) نازح من بلدة الحويز في سهل الغاب إلى بلدة أطمة الحدودية، ترك منزله وأرضه الزراعية التي كان ينتظر محصولها الذي يعيش منه، يملك الجاسم أرضاً زراعية بالإضافة إلى بئر ارتوازي، يقول "كنت أبيع محصولي في أسواق ريف إدلب الجنوبي والغربي، وحتى مناطق عفرين والباب بريف حلب الشمالي". بعد بدء جني المحصول الصيفي قامت قوات الأسد بالتقدم إلى مناطق سهل الغاب بعد تمهيد ناري مكثف، ما اضطر فلاحي المنطقة إلى النزوح وترك المحصول، "تقدر خسارة المزارعين بمئات الملايين في مناطق الغاب، بالإضافة إلى فقدان المناطق المحررة لأهم المناطق الزراعية" يقول الرجل الخمسيني.

يقول عنيزان أنه لا توجد إحصائيات حالية لمحاصيل المنطقة، لكن إحصائيات سابقة تشير إلى أن الغاب ينتج 600- 800 ألف طن من القمح تبعاً للجفاف والأمطار، "أما المنطقة المحتلة فليس لدينا إحصائية لها، ولكن أستطيع أن أقدر نسبة الأضرار -إذا كان متوسط إنتاج دونم القمح حوالي 500 كغ كما هو متوقع هذا العام- بحوالي 20 ألف طن على الأقل خسرتها المنطقة، ناهيك عن محاصيل أخرى" ويعدد عنيزان الحيازات الزراعية لعدة قرى سيطر عليها النظام، مثل قرية الشريعة التي تحوي 22 ألف دونم، وقلعة المضيق حوالي 25 ألف دونم، والحويز 11 ألف دونم، وكفرنبودة 30 ألف دونم ، وتل هواش ومزارعها 20 ألف دونم.

بسيطرة ميليشيات النظام على قرى وبلدات الغاب، تكون قد سيطرت على المسامك التي تشتهر فيها المنطقة، إذ قام عناصر الميليشيات بسرقة الأسماك وبيعها في المناطق الموالية للنظام بأسعار منخفضة وصلت إلى 200 ليرة للكيلو الواحد، وخصوصاً في مناطق السقيلبية ومحردة في ريف حماة الغربي. يقول محمد أبو حمود صاحب أحد المسامك في بلدة باب الطاقة لعين المدينة أن "المنطقة مصدر لبيع الأسماك في كافة مناطق الشمال السوري، نتيجة لخبرة الأهالي في تربيتها وتوفر المياه، بالإضافة إلى بناء عشرات المطاعم التي تقدم وجبات السمك. عناصر ميليشيا النمر قامت بالاستيلاء عليها وبيع السمك في الأسواق الموالية للنظام، مما حقق لهم أرباحاً خيالية".

تشتهر المنطقة بأسماك السلور والكرب والمشط والكرب العشبي، وجغرافياً تتركز معظم المسامك في الغاب امتداداً من الحويز حتى قلعة المضيق وتحوي "حوالي 380 مزرعة سمكية تتراوح مساحتها من خمسة دونم حتى أربعين دونم" حسب محمد عنيزان الذي أضاف أن "النظام باحتلاله المنطقة قضى على قطاع الثروة السمكية في المحرر، فإذا بحثت في المحرر لا تجد أسماكاً، باستثناء ما يجلبه التجار من الفرات إلى عفرين ثم إدلب، ويصل سعر الكيلو الواحد ثلاثة أضعاف الكيلو على ما كان عليه، لذلك يمكن القول أن الضرر في القطاع السمكي بلغ نسبة مئة بالمئة". دون أن يغير من النتيجة جهود بعض المربين في حفر آبار ارتوازية في أرياف إدلب لإقامة حاضنات ومفاقس لأسماكهم.

لم تكتفِ ميليشيات النظام بالاستيلاء على المحاصيل الزراعية، بل قصفت الأراضي في مساحات شاسعة من ريف حلب الجنوبي (قرى رسم العيس وأم عتبة والكسيبية ومحيط بلدة تلحديا) بصواريخ محملة بالقنابل الفوسفورية والعنقودية بالإضافة إلى مناطق اللطامنة وكفرزيتا ومورك والزكاة في ريف حماة، وعدة قرى في ريف إدلب الشرقي في عملية يبدو الهدف منها حرمان المنطقة من غذائها. ويقول الناشط الصحفي مجد الفيصل لعين المدينة "قوات النظام تستهدف حرمان المناطق المحررة من السلة الغذائية المتواجدة في سهل الغاب من خضروات وثروة حيوانية، بالإضافة إلى حرق المحاصيل الزراعية من أجل حرمانها من القمح، ما أفقد المناطق المحررة أكثر من 40 % من محاصيل القمح".

وفي النزوح إلى أرياف إدلب، حيث المناخ الجاف والبيئة غير المناسبة لتربيته، يلجأ المربون لتدبير معيشتهم إلى بيع رؤوس من الجواميس التي يبلغ قطيعها في مجمله سبعين رأساً، لذلك تعيش تربية الجاموس أسوأ مراحلها، "فإذا كانت تربيته متدهورة أساساً، فهي الآن مهددة بالانقراض"، كما يختم عنيزان حديثه.

ريف حماة - مراسل سوري

آلاء من مدينة قطنا في ريف دمشق الغربي، التي اعتقلت في الأفرع الأمنية لنظام الأسد، ولم تخرج منها حتى منتصف العام التالي على اعتقالها، لم تجد سبيلاً للنجاة من عناصر النظام وميليشياته، ولا حماية نفسها ووالدتها سوى الزواج من أحدهم.

السوريات بين ظلام المعتقل وظلم المجتمع

أُجبرت بعض المعتقلات السابقات على الزواج من عناصر أمن ومن جنود بقوات النظام

باسل كريم

بحرقة وحسرة ودموع لا تنقطع تصف آلاء حالها: "أنا ما نسيت دم أخواتي ولا يوم، ويمكن زواجي من هيك شخص خيانة لدمهم، بس أهون عليّ من إنو يصير شي لبقية عيلتي". خسرت آلاء شقيقين أحدهما في منطقة خان شيخون والآخر في معتقلات النظام، وتقوم منذ خروجها من المعتقل برعاية والدتها العاجزة. وحسب آلاء فإنها لا تنعم بالاستقرار في حياتها مع زوجها، لكن الخوف من الانفصال يخيّم عليها، واصفة حياتها بأنها "تقطيع وقت لبين ما الله يفرجها".

تقول آلاء لـ عين المدينة: "لم أكن أتدخل في شؤون الثورة بشكل علني، إنما اقتصرت على تلبية طلبات أخوتي القابعين في المناطق التي كانت تخضع لسيطرة المعارضة السورية، ومع ذلك لم تتردد عناصر تلك الدورية التي داهمت الحي أواخر عام 2013 في اعتقالي، ونقلي إلى فرع المخابرات الجوية في العاصمة دمشق، حيث مكثت أكثر من سبعة أشهر، لأخرج منه دون تهمة مباشرة أو قضية مرفقة في ملفي الأمني".

تتابع آلاء: "رغم التعذيب والضرب والشبح والصعق الكهربائي الذي تعرضت له طيلة تلك الأشهر، وآثارها الواضحة على وجهي وجسدي أكثر من سنتين، لم تكن نظرات المستقبلين لي أرحم من سياط الجلادين، فما اكترث أحدهم للضرب والإهانة التي عانيتها، وما كان يجول في خاطرهم سوى سؤال واحد "حدا لمسك؟!" في إشارة منهم للاغتصاب".

حاولت آلاء شرح حياتها في المعتقل لكافة أقاربها وجيران الحي، وإقناعهم بأن أحدهم لم يتعرض لها سوى بالضرب والتعذيب، إلا أن علامات تكذيبها وقناعتهم بما يجول في خاطرهم كانت بادية على وجوههم، وما أن دار الحديث بين الأهالي حتى بدأت نظرات الشبان -ولاسيما عناصر الميليشيات الموالية للنظام- تتوجه إليها حاملة تعبيرات دنيئة بحسب قولها. "لازم أحمي حالي!!" فكان لا بد لها من إيجاد حل لحماية نفسها من أي انتهاك قد تتعرض له، كما تشرح.

تقول آلاء: "بعد شعوري بالخطر من الشبان المنتشرين في شوارع المدينة، وفشلي في الانتقال إلى مدينة أخرى، كوننا لا نجد شاباً (يقوم علينا) ويعيننا، ولا وضعنا المادي يسمح بذلك، لم يكن أمامي سوى الخضوع لأول مخرج يظهر في طريقي". وأضافت: "تقدم أحد عناصر جيش النظام من أبناء محافظة الحسكة للزواج بي، وكنت على يقين أنه لا يمكن لأحد غيره طرق باب بيتنا، وعلى يقين أكبر أن الألسن التي لم ترحم سمعتي لن تسمح لأحد بالتقدم لي، فما كان أمامي سوى القبول به".

لم تكن آلاء الوحيدة من المعتقلات والمعارضات السوريات اللاتي أجبرن على القبول بالزواج من عناصر أمن وجيش النظام والميليشيات التابعة له لأسباب مختلفة. يقول الصحفي أحمد عبيد لـ عين المدينة أن عشرات الفتيات من المناطق التي تخضع لسيطرة قوات النظام أُجبرن على القبول بزيجات مشابهة لزواج آلاء، مشيراً إلى أن المناطق التي شهدت اتفاقات تسوية وتهجير قسري في ريف دمشق هي صاحبة النصيب الأكبر من مثل هذا الزواج.

وأضاف عبيد: "عقب اتفاقات التهجير القسري التي تعرضت لها مدن وبلدات ريف دمشق منذ أواخر عام 2016 وحتى مطلع 2018 شهدت عودة للأهالي النازحين إلى المدن المجاورة، وتكاد لا تخلوا عائلة من أحد المطلوبين من أفرادها للأفرع الأمنية التابعة للنظام، فكان لا بد للأهالي من سلك هذه الطريق لتأمين الحماية من الاعتقالات والمساءلات التي تخص أبناءهم المهجرين".

وبحسب الصحفي فإنه لا يمكن إنكار دور الفقر وصعوبة المعيشة في انتشار الظاهرة، وبالأخص في مناطق التسويات، فمن لم يهجر قسراً إلى شمال سوريا ولم يلجأ خارجها لا يمتلك القدرة على الزواج في الوقت الراهن في بلدان مدمرة بشكل شبه كامل، مشيراً إلى أن هذا أحد أبرز الأسباب التي تدفع بالأهالي للقبول بهذه الزيجات إلى جانب السعي لتأمين الحماية.

لا ترى ناشطات معتقلات سابقاً أن سبب الزواج من عناصر النظام يعود بالضرورة إلى العوز أو طلب الحماية من خارجات من السجون، هرباً من ضغط المجتمع أو تحرش عناصر النظام أنفسهم، فقد عاين بعض الناشطات عن قرب قصص حب نشأت بين سجينات في الأفرع الأمنية وسجانيهم أو المحققين معهم. تقول إحدى الناشطات اللواتي خضن تجربة الاعتقال "أعرف قصص حب بين سجانين انشقوا عن النظام وتبعوا سجينات خرجن من السجن. في بعض الأحيان لا تجد المعتقلة نفسها مضطرة لتبرير أو شرح تفاصيل حياتها في السجن للسجان الذي يتقدم لخطبتها، لأنه يعرف سلوكها جيداً في السجن". وتضيف أن غالبية حالات الزواج من عناصر النظام تخص معتقلات غير متعلمات، أما بالنسبة إلى الأهل فلا يطالبون الزوج في مثل هذه الحالات بمهر ابنتهم.

منتدى حواري عن المعتقلات السوريات - إدلب (عنب بلدي)

ناجيات من المعتقلات السورية

سونيا العلي

وجدت ناجيات من الاعتقال في مناطقهن الثائرة بيئة حاضنة لمعاناتهن وتجاربهن القاسية، بعد إدراك أفراد من المحيط مدى وحشية النظام السوري وممارساته داخل المعتقلات، مما جعلهم أكثر وعياً وتضامناً واحتضاناً لبناتهم بعد الخروج من المعتقلات.

استطاعت عبير (26عاماً من معرة النعمان) بعد خروجها من المعتقلات السورية أن ترسم لنفسها طريقاً وهدفاً في الحياة، وتمكنت بإرادة وعزيمة أن تتخطى نظرات المجتمع السلبية لتكمل حياتها بصبر دون أن تنظر للماضي، تتحدث لعين المدينة عن تجربتها بالقول: "تم اعتقالي أثناء ذهابي إلى مدينة حماة لإتمام دراستي، وقضيت في السجن حوالي سنتين. يعجز لساني عن وصف التعذيب والظلم الذي رأيته، إلى أن تم إطلاق سراحي بصفقة تبادل للأسرى، فصراخ المعتقلين وحده يصم الآذان ورائحة الموت تنبعث من عتمة المنفردات".

تبين عبير بأنها وجدت بعد خروجها كل شيء حولها قد تغير، فالكثير ممن تعتبرهن صديقات مقربات لها بتن يتجاهلن رؤيتها والحديث معها، ولكن الكنز الحقيقي هي والدتها التي وقفت إلى جانبها، وطلبت منها العودة لدراستها في جامعة إدلب. تلخص عبير تلك الفترة بقولها: "اخترت لنفسي سجناً إرادياً لأنني وجدت كل شيء حولي محبطاً، فقمت بحبس نفسي في غرفتي تجنباً لمواجهة الآخرين، وبعد فترة أدركت أنني الضحية الوحيدة، ولا أحد سيشعر بمعاناتي، ولا يمكن إرضاء الناس مهما حصل، فخرجت من جديد إلى الحياة وكلي أمل بغد أفضل".

والدة عبير تتحدث عن تجربة ابنتها بقولها: "فترة عصيبة عاشتها ابنتي في أقبية السجون ذاقت خلالها التعذيب، ونجت من براثن الموت، وبعد خروجها آمنتُ بأنها ضحية لا ذنب لها، فبذلت ما في وسعي لحمايتها وإعادتها للحياة الطبيعية من جديد".

كذلك ريمة استطاعت أن تتخطى الماضي بعد خروجها من المعتقل، وذلك بدعم من زوجها الذي وقف إلى جانبها، وعن ذلك تقول: "كنا نعيش في دمشق، وأثناء ذهابي إلى عملي في ورشة للخياطة وعند أحد الحواجز التابعة للنظام تم اعتقالي بتهمة التعامل مع الجيش الحر، ثم تم اقتيادي إلى سجن عدرا الذي بقيت فيه ستة أشهر قبل إطلاق سراحي منتصف 2018".

تضيف ريمة: "بعد خروجي من المعتقل قررت أن أنتقل مع أسرتي للعيش في الشمال السوري، أما زوجي فلم يتخلَّ عني ولم يحط من عزيمتي يوماً، كما يتحاشى أي سؤال من الممكن أن يسبب لي الإحراج أو الإهانة، لذلك أعتبره الداعم الأكبر لي في الحياة لتجاوز المحنة".

على أن تلك التجارب المبشّرة تجد ما يقابلها من تنصل وتخلي المحيط عن معتقلات سابقات. فاطمة التي كُتب لها النجاة من سجون النظام السوري بعد اعتقال دام ثلاثة أشهر، وجدت نفسها محاطة بنظرة المجتمع السلبية لها، الأمر الذي كان سبباً بانفصالها عن زوجها وإبعادها عن أطفالها الثلاثة، ومعاناتها تضاف إلى معاناة آلاف النساء السوريات اللواتي وجدن أنفسهن ضحية لظلم النظام السوري واستبداده داخل المعتقلات، ونبذ المجتمع بعد خروجهن منها، فطردن خارج محيطهن ليعشن المرارة والمعاناة بين ذكريات الماضي وظلم الواقع المعاش.

فاطمة (31عاماً من مدينة إدلب) تتحدث عن معاناتها بالقول: "مع بداية الثورة كنا نعيش في محافظة حمص بحكم عمل زوجي في البناء، ومع تزايد أعداد النازحين عملت مع أخريات بتقديم المساعدات الإغاثية لهم، ولم أكن أعلم أن عملي هذا سيكون سبباً لاعتقالي من قبل قوات النظام السوري"

اعتقدت فاطمة بأن نهاية معاناتها ستكون بمجرد خروجها من المعتقل، لكن نظرة المجتمع لها كان فصلاً جديداً من المعاناة، وألماً من نوع آخر، وعن ذلك تقول: "اندملت جروح جسدي واختفت آثار السلاسل والقيود، ولكن جروح قلبي لا يمكن لها أن تشفى، وخاصة بعد انفصال زوجي عني، وإبعادي عن أطفالي".

المرشدة الاجتماعية نور السيد من مدينة سراقب تتحدث لعين المدينة عن التمييز الاجتماعي ضد النساء المعتقلات بقولها: "قلة من الناجيات يتلقين الدعم ويعدن لحياتهن، سواء على صعيد الحياة الشخصية أو المجتمع المحيط، علماً أن الناجية من المعتقل ليست أقل شأناً من الشاب المعتقل، ولم تتلقَ عذاباً أقل من عذابه، لذلك على المجتمع دعمها وتقبل ما مرت به، ورعايتها والوقوف إلى جانبها لمحو الذكريات السوداء من ماضيها، والمشاهد المؤلمة التي حفرت في ذاكرتها."

وفي ظل واقع تقل فيه إمكانيات الدعم النفسي للمعتقلات والمبادرات المجتمعية والمدنية المخصصة لمساندتهن، أطلقت منصة (عيني عينك) التدريبية حملة بعنوان (ناجيات أم ليس بعد) بهدف تسليط الضوء على قضية المعتقلات السابقات في سجون نظام الأسد، ورفع الوعي حيال تلك القضايا، ودعم النساء لإعادة دمجهن في المجتمع وفتح الطريق لذلك من خلال نشر الوعي في أوساطهن، ومنحهن الفرصة للتعبير عن أنفسهن، ومشاركة ما تعرضن له بعد الاعتقال.

فالنساء السوريات اللواتي واجهن أقسى أنواع الظلم داخل سجون النظام السوري، لا تنتهي معاناتهن بعد نيل الحرية، إذ يجدن أنفسهن في مواجهة واقع فرض عليهن وكبلهن بقيود جديدة.

الطلاق المبكر.. ظاهرة تنتشر في مخيمات الشمال السوري

عائشة صبري

سارة ابنة ريف حمص الشمالي، التي هُجِّرتْ إلى إحدى مخيمات الشمال السوري منذ عام، وتزوَّجت بعد وصولها بأشهر، ولم تكن تجاوزت بعد الـ 15 ربيعًا، فشل زواجها بعد مرور شهرٍ واحد على الزفاف.

يبدو أن التسرع في إتمام الزواج أصلاً سبب الطلاق المبكر، إذ لم يأخذ الزوجان وقتهما الكافي في التعارف. يجمل أحد المطلعين على شؤون مخيمات الشمال لعين المدينة، قصة سارة بأنَّ "ذنبها أنها شقيقة لخمسة أيتام هي أكبرهم"، وبسبب الحالة المادية المزرية للأسرة وافقت الأم على تزويج ابنتها، دون أن تأخذ الإجراءات وقتها الكافي من الأخذ والردّ والدراسة، وكانت النتيجة الطلاق بعد الزفاف بشهر واحد، إذ أنَّ الشاب لم يكن على قدر المسؤوليَّة كونه صغير السنِّ كذلك، ولم يكن يملك عملاً، فعادت الفتاة -أو بالأحرى الطفلة- لخيمة والدتها بمستقبل مجهول.

يؤكد ناشطون ومطلعون على شأن المخيمات لعين المدينة، أنَّ سارة ليست الوحيدة بين أترابها، فقصتها تكرَّرت ولا تزال تتكرَّر في مخيمات الشمال، ولعلَّ أبرز أسباب انتشار ظاهرة "الطلاق المبكر للمتزوجين حديثاً" -كما يلخص كثر- هي اختلاف العادات والتقاليد بين سكان المخيمات، وعدم المعرفة الكافية بين الشاب والفتاة، ويُعبّر عن الأمر عادة بجملة "الزواج المادي" أو "زواج المادة".

وإزاء العوامل التي تُسبّب هكذا حالات شرح أحدهم بأن "العوامل يُمكن حصرها في نوعين، الأول عوامل تخصُّ وعيَ المجتمع وثقافته الاجتماعية، والثاني عوامل اقتصادية، بمعنى فقر أهل الفتاة الذي يضطرهم لتزويج ابنتهم عند أول طارق بغض النظر عن تبعات ذلك، وبغض النظر عن أهلية الشاب لأنْ يُدير أسرة وشراكة زوجية، أضف إلى ذلك أنَّ تسهيل أمور المهور وتبسيطها ساعد في انتشار هذه الظاهرة بحيث أصبح الشاب يستسهل هذه الخطوة، ويُقدم عليها دون تحمُّل أدنى عبء أو مسؤولية".

كثرت حالات الطلاق بعد انتشار ما يسميه البعض بالزيجات العشوائية وغير الطبيعية، خاصة في العامين الأخيرين عندما تم تهجير جميع المناطق المحاصرة في الجغرافيا السوريَّة، ما أدى إلى حدوث اكتظاظ سكاني غير طبيعي في المخيمات وفي وجهات النزوح، نتج عنه انتشار ظاهرة "الزواج السريع وغير المدروس"، وبالتالي نتج عنه "طلاق بعد أشهر أو أسابيع أو أيام"، حسب محدثنا الذي أضاف أن "هذه الظاهرة هي شائعة في كل مخيم، وليستْ في أحدها دون غيره، وتتم كثير من حالات الطلاق بشكل سرِّي من قبل ذوي الطرفين، لكن يُمكن القول بأنَّ المعدل الشهري لعدد حالات الطلاق في المخيم الواحد هي ثلاث حالات، وأحياناً تزيد عن هذا الرقم، ولكن يستحيل أنْ تقل".

وحسب وجهة نظر الأكاديمي محمود دياب، وأحد المطلعين على شؤون قاطني المخيمات الشخصية، فإنَّه بشكل عام يُوجد تقصيرٌ من قبل مؤسسات المجتمع المدني التي تُعنى برعاية المرأة وتثقيفها وحمايتها اجتماعياً، لأنَّ "هذه المؤسسات تستطيع الوقوف بوجه مثل هكذا زيجات من شأنها أنْ تُدمِّر المستقبل الأسري للفتاة، ولكن غياب دورها جعل الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام توقع حدوث أيّ مصير سيء، مثل أنْ يُضحي بها والدها أو أسرتها تحت ضغط الفقر والعوز".

وعن أسباب الزواج المبكر قال المحامي عبد الغني شوبك لمجلة عين المدينة: إنَّ أبرزها "الخوف من المجهول، والأعباء المادية، وضعف أو انقطاع التعليم والتوعية، والخوف من الارتباط من رجل أجنبي الجنسية". أما أسباب الطلاق المبكر، فبيّن شوبك أنَّها تعود إلى سرعة اتخاذ قرار الزواج دون السؤال عن الزوج ومحيطه وبالعكس أيضاً، خاصة عندما يكون التعارف إلكتروني عن طريق وسائل التواصل، وإلى حالات عدم التقارب. "تأتيني حالات فيها الزوجة ملتزمة ومنقبة وزوجها يشرب الكحول، ما يدلُّ على عدم مناسبة الطرفين لبعضهما البعض، وهذا يُسفر عن وقوع مشاكل في الحياة الزوجية تنتهي بإيقاع الطلاق من قبل الزوج دون تروٍّي بسبب عدم تسجيل عقد الزواج لدى جهة رسمية" حسب شوبك، حيث يكون العقد عن طريق شيخ أو من يدعي أنَّه كذلك، ما يؤدي إلى عدم إلزام الزوج بالمهر بسبب عدم وجود قوة إلزامية تلزمه بدفع الدين المترتب في ذمته لزوجته.

واستدرك المحامي أنَّ الزوجة هي من يطلب التفريق غالباً، إذ يُريد الزوج أن يُعلِّق الزوجة دون تطليقها، وهنا تبدأ دوامة الزوجة من أجل الحصول على طلاقها، فتذهب إلى شيخ كي يُطلقها فيرفض عادة لأنَّه ليس مخوّلاً، "لكن هناك ممن يسمّون أنفسهم شيوخ يُطلقها كأنَّه قاضي، وهذا لا يجوز شرعًا وقانونًا، وليس لها طريق سوى تثبيت زواجها، ومن ثم طلب التفريق لدى القضاء في مناطق سيطرة النظام أو في مناطق سيطرة المعارضة، وهذا مكلف عليها فتبقى معلقة لحين أن (يحدث الله بعد ذلك أمراً)".

خيمة مشفى جبلة - صفحات موالية

خيم العزاء في الساحل وهاجس الهرب من الموت

ميس الحاج

تقدم بلديات الساحل في الغالب خيم العزاء بشكل مجاني لأسر قتلى النظام، وتلجأ إلى تركها لعدة أسابيع في المنطقة ذاتها ليتم تغيير الأشخاص المستقبلين للتعزية وصورة القتيل الموضوعة عليها.

في محيط الخيمة تدخل وتخرج نساء متشحات بالسواد، ويتبادل الوافدون لتعزية ذوي القتيل معهم أحاديث كثيرة أغلبها يدور حول وضعهم وموت شبابهم وتذكّر كل شخص لقتيل من عائلته، وسط تأكيد على أن الوضع بات غير محمول. يقطع هذه الأحاديث الندب والبكاء على القتيل وأماني من ذويه بأن يكون الموت لهم بدلاً عنه، مع تكرار بعض العبارات بشكل مستمر، خصوصاً في الأسر التي فقدت أكثر من شاب.

مع عودة المعارك على جبهات القتال بين قوات النظام والمعارضة في كل من ريفي حماة واللاذقية، عادت خيم العزاء لتنتشر بكثافة في مدن وقرى الساحل السوري؛ كادت تختفي منذ فترة قريبة، لكن وجودها عاد أمراً طبيعياً اعتاد عليه الأهالي، خصوصاً مع استمرار الحرب لسنوات طويلة.

توافد جثث القتلى من الشباب نحو المناطق الموالية للنظام في الساحل أرهق سكانها. سابقاً مع بداية الحرب، كانت الأسر تفتخر بوجود شاب لها على جبهات القتال يقاتل في صفوف قوات النظام، ويتحدثون عنه بكونه "يدافع عن الوطن"، لكن الأمر تغير كثيراً مع الزمن، وفي الوقت الحالي انقلبت هذه الأحاديث تماماً، لتصل إلى اتهام النظام بتقتيل الشباب من أبناء الطائفة العلوية، أو مطالبة المسؤولين بتجنيد أبنائهم وإلحاقهم بصفوف قوات النظام بدلاً من "الهرب والعيش خارج سوريا والتمتع بكامل النعيم والرفاهية".

تصف هيام (إحدى نساء حي الزراعة في مدينة اللاذقية) لعين المدينة الوضع بأنه "محزن جداً، فالضريبة التي دفعها الموالون بهدف بقاء النظام في الحكم تفوق طاقتهم، الدخول إلى أحيائهم يعطي انطباعاً عن أن كافة سكانها من النساء". ترسم هيام -من خلال حديثها- صورة تراجيدية لأحياء وقرى الموالين، تظهر فيها الشوارع بدون حياة، ولا شيء لافت سوى الموت وأوراق النعي المنتشرة على الحيطان، والمتكدسة فوق بعضها البعض.

في أغلب جلسات التعزية تنصح النساء اللواتي فقدن أحد أبنائهن مؤخراً جاراتها أو أي نساء تعرف أن لديهن شاب وصل إلى مرحلة الذهاب لخدمة العلم- بضرورة عدم إرساله وتأمين طرق لسفره أو هربه خارج سوريا. ولا بد أن تتطرق الأحاديث إلى وضع أسر القتلى السيء، وتخلص عادة تلك الأحاديث إلى أن "الموت من نصيب الفقراء فقط، فحتى في الموت لا يوجد أي رحمة أو مساواة" كما تنقل هيام.

ما زال شبح الخدمة الإلزامية أو الاحتياطية يخيم على العوائل التي لديها أفراد شبان، ما جعل الهاجس المسيطر على الأهالي هو أساليب التخفي أو التأجيل الدائم بهدف الدراسة أو الخروج إلى خارج سوريا نحو أي بلد آخر، أما حوادث اصطدام عناصر الأمن بالأسر عند ذهابهم لاقتياد أبنائها فكثيرة. في حي المشروع السابع في اللاذقية مؤخراً هاجمت إحدى النساء عناصر الأمن العسكري وهم يمسكون بابنها المطلوب للجيش، وبسبب صراخها بوجه العناصر خرج الجيران على مشهدها وهي تضربهم وتضرب نفسها، مكررة جملة "ابني ليس مستعداً لأن يموت فداء لأي أحد".

وحسب الناشط محمد العبد الله؛ رفضت الكثير من الأسر إرسال أبنائها للقتال خلال السنتين الماضيتين، منهم من دفع مبالغ تصل لعشرات الملايين بهدف إسقاط الخدمة نهائياً، ومنهم من لجأ إلى السفر مع أولاده خارج البلاد، فضلاً عن سعي البعض لنقل الخدمة من مناطق وخطوط الاشتباك نحو الخالية من المعارك. وتحدث الناشط عن أن ضباط في صفوف النظام كانوا قد حذروا أبناء الساحل من إرسال أبنائهم مجدداً للقتال وإيجاد حل لتسفيرهم، ناقلاً عن إحدى النساء أنها خلال زيارتها لشعبة التجنيد لإتمام معاملة تخص خدمة ولدها في الجيش، قال لها أحد الضباط أن "الزهرة التي تملكها يجب أن تحافظ عليها، ولا تسمح لأحد بأن يقطفها منها وأنه يتوجب أن ترسلها إلى مكان آمن".

تعيش أسر القتلى في الساحل تحت ضغط الفقد، بينما تتمتع بعضها -خصوصاً ممن لديهم شباب كانوا يقاتلون في صفوف الميليشيات- بثروات كبيرة نسبياً، تسمح لنساء هذه الأسر بالتجول بسيارات فاخرة داخل أحياء المدن، مع الحفاظ على "طابع الحزن" لخسارة أحد الأبناء أو الأخوة أو الزوج من خلال وضع صوره على السيارات والحرص على اللباس الأسود، كذلك من خلالها التعريف عن أنفسهن باسم القتيل "والدة الشهيد فلان".. أو "زوجة الشهيد فلان".

في حين أن من يعاني منهم من وضع مادي سيء -خصوصاً أبناء القرى- تحول مقتل أولادهم لمصدر للعيش بين الدوائر الحكومية والمنظمات للحصول على أي مساعدة، فضلاً عن المطالبة بالحصول على سلال ومعونات غذائية ورواتب شهرية على أمل الحصول على ما يسد رمق أطفالهم.

داريا.. أغانٍ حزينة تسند الجدرانَ المهدمة

محمد كساح

على مدار سنوات تعرضت داريا لواحدة من أقسى الهجمات العسكرية؛ اتبع النظام مستعملاً المقاتلات الحربية والمعدات الثقيلة سياسة الأرض المحروقة. معظم البيوت تهدمت بفعل القصف، وبعد خروج الثوار وعد النظام عشرات الآلاف من السكان بالرجوع إلى منازلهم، لكنه أخلّ بوعوده ما جعلهم يلجؤون إلى وسائل جديدة في التعبير عن حنينهم لمدينتهم. وهكذا غدت المعادلة كالتالي: ما دامت العودة الحقيقية غير واضحة المعالم فلتكن افتراضية عبر الملتيميديا وبإمكانيات بسيطة.

لم أتمكن حتى اللحظة من الحصول على تسجيل لمنزلي مع أغنية حزينة على غرار تلك التسجيلات التي يتناقلها سكان داريا لمنازلهم المدمرة، والدتي أرسلت إلى مؤخراً مقطعاً مرئياً لبيت جدي مع أغنية "وأنا مارق مريت، جنب بواب البيت، بيت الكانوا سكانو". الأغنية التي عشقتها منذ سن الخامسة لدرجة أني كنت أقف متسمراً أمام التلفاز كلما أذيعت على القناة الأولى. لم أشاهد في بيت جدي سوى جدران متهالكة، تفشت فيها الرطوبة التي انتزعت الطلاء الأبيض للجدران بقسوة واضحة، وما سوى ذلك من الأثاث والنوافذ والأبواب وجميع ما كان في المنزل من أشياء كانت مفقودة، بعد أن وجدتْ لها مكاناً ما في أسواق التعفيش على أرصفة الشوارع في العاصمة.

أقول لأمي بعد تكرار المشاهدة عدة مرات "أنتم تتناقلون هذه التسجيلات كما الهدايا الثمينة" فتجيب على الفور "منعنا من السكن في بيوتنا فحملناها معنا ضمن استديو الصور في هواتفنا الذكية".

مستخدماً مهارته المتواضعة جداً في المونتاج، يحاول قريبي الذي يقيم بالقرب من دمشق "أبو عماد" تجميع أكبر قدر ممكن من الصور وتسجيلات الفيديو لمنزله بمدينة داريا في مقطع واحد. اختار أغنية "دار يا دار يا دار.. راحوا فين حبايب الدار" لترافق صور المنزل المسروق والمهدم. كانت الكلمات حزينة بالقدر الذي جعل الخمسيني الذي علاه الشيب يبكي بحرقة وهو يضع اللمسات الأخيرة على الفيديو، الذي طالما كان حلماً بالنسبة إليه ولمئات النازحين من أهالي المدينة.

كل ما في الأمر أغنية حزينة. لقطات عفوية جمعت على عجل. صور لبيوت وحارات مهدمة. ومع ضغطة نهائية على زر "حفظ المشروع" تكون النتيجة إنتاج مرئي بسيط جداً، لكنه بالغ الأهمية في نظر أصحابه على الأقل، يُرسل عبر إحدى وسائل التواصل الاجتماعي إلى الأقارب والمعارف ليستقبل بكثير من الامتنان، والشوق، وشيء من الأمل.. وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي ينتهجها السكان الأصليون لمدينة داريا، عبر خلق نوع من الذاكرة الحية، باستخدام الملتيميديا كبديل عن الواقع الذي يبدو تحقيقه بعيداً.

متحدثاً حول الفاجعة ووسائل التغلب عليها يقول أبو عماد "كانت مشاهدة داريا حلماً جباراً بالنسبة إلينا نحن البعيدين عنها". زار أبو عماد داريا فور إعلان غير جاد من قبل النظام عن عودة الأهالي: شاهد الطرقات المهدمة، أسلاك الكهرباء المقطوعة، الأبنية الطابقية العالية التي أركعتها آلاف البراميل المتفجرة. وبصعوبة بالغة تمكن من التعرف على حارته، أما بيته فعرفه من المصطبة الإسمنتية القريبة من باب الدار، والتي كان يجلس عليها مع صديقيه المقربين أبو عبدو وأبو تيسير في الليالي المقمرة، بينما لم يجد الباب الخارجي ولا قطعة الرخام الكبيرة التي كانت أمام الباب.

"صورت كل شيء" يقول قريبي بنبرة حزينة. "لكني لم أشاهد سوى جدران مهدمة فقط". فور انتهائه من التسجيل أرسله عبر واتساب إلى أبنائه الذين يقيمون في تركيا، ليعرّفهم ما آل إليه المكان الذي قضوا بين أرجائه سنوات شهية من عمر لا يمكن أن يعود أبداً.

أحد معارفه -بعد مشاهدة التسجيل- طلب منه الدخول إلى منزله لالتقاط بعض الصور. توالت الطلبات من آخرين أيضاً.. كان قد حصل على بطاقة أمنية تخوله الدخول في ساعات محددة من النهار.. "صورتُ عشرات اللقطات لعدة منازل. كنت أختار أغانٍ حزينة، وأضم صور كل منزل إلى بعضها ليخرج فيديو جديد". يبتسم بينما تبدو على وجهه علامات الرضا "كان هذا إنجازاً كبيراً".

معظم أبناء داريا الذين توزعوا في بلدان اللجوء في تركيا، أوروبا، كندا، الولايات المتحدة.. شاهدوا منازلهم بهذه الفيديوهات.. الحنين والشوق لداريا جعلهم يطلبون من معارفهم المقيمين في العاصمة ويستطيعون دخول المدينة تصوير لقطات مماثلة. أبو فادي الذي حصل أخيراً على بطاقة للدخول أرسل مقطعاً مصوراً لابنه المقيم في إدلب. تمعّن فادي في كل تفاصيل البيت الذي جمعه مع عائلته في الأيام الخوالي. "البيت الفارغ تماماً أعاد إلى دافع التمسك بالأرض حتى آخر قطرة دم حمراء" يقول فادي. أما والده الذي تجاوز الخامسة والخمسين فيحلم بالعودة قبل فوات الأوان. "أنتظر لحظة إقامتي في بلدي بشكل دائم، مللت من حياة النزوح، وليس لي من أمنية سوى الموت في منزلي".

عيد السكّر في تركيا... حلقوم وصُلح وملوكية

رانيا عيسى

يطلق الأتراك على العيد الذي يلي شهر رمضان إضافة لتسمية عيد الفطر مسمّى آخر وهو "عيد السكّر"، وتعود التسمية إلى تقليد إبان العهد لعثماني بتوزيع السكر على الجنود والأطفال، والذي يبدأ منذ منتصف شهر رمضان وحتى آخر أيام العيد، ليصبح تقليداً شعبياً في إعداد الحلوى وتوزيعها، فيما يرى بعضهم أن تحريفاً للكلمة جرى خلال نقل الحروف العربية إلى اللاتينية من عيد الشكر إلى السكّر.

لا مكان للحلوى على الرفوف قبيل حملة تنظيف "إن مسكت مجهراً لن ترى ذرة غبار" كما وصفتها بيرنا العشرينية، التي جعلت من تنظيف المنزل قبيل قدوم العيد بأيام أحد أهم أولويات التحضير له، "هذا العيد الأول لي مع أهل زوجي، فالعيد الأول بمثابة الاختبار الأول لي". رغم إقامة بيرنا في العاصمة أنقرة إلا أن للعيد في "ريزة" إحدى المدن المطلة على البحر الأسود ميزة أخرى، حيث تقام في الأعياد الأراجيح للناس من كل الأعمار، فهي في اعتقاد سكان البحر الأسود بمثابة التنفيس عن تعب الصيام وطلباً للاسترخاء.

تتحضر غول آي الخمسينية لقضاء عيد الفطر الأول مع أحفادها بُعيد طلاقها: "لا شيء يمنعني من إسعاد أحفادي فهداياهم ومصروف العيد قد جهز، وقبلة اليد وتبادل الهدايا مع أحفادي هي العيد المتبقي لدي". وتضيف: "لم يعد للعيد جو كما في السابق، كنا نجتمع، نثرثر حتى الفجر ونحن منغمسات في تحضير كعك العيد، الآن كل شيء موجود في الأسواق ويكتفي الجميع بشرائه".

تمتلئ رفوف المطابخ التركية في عيد السكّر بأصناف مختلفة من الشوكولا ومسحوق اللوز والبقلاوة، لا يزاحمها في ذلك سوى حلوى الجلاش (عبارة عن رقائق عجين تحضّر بطريقة معينة ويتم حشو هذه العجينة بحشوات مختلفة؛ فيمكن حشوها بالمكسرات، أو الجبن، أو القشطة" والتي تجد لها مكاناً في كل منزل، والحلقوم "حلوى هلاميّة طريّة ذات نكهة مميّزة" بألوانها المختلفة والتي تتصدر أبواب المساجد لتوزع على الخارجين من صلاة العيد والمارّة من قبل أشخاص يرتدون الزي التقليدي "الشروال المطرز"، وتمتاز ولاية بورصة بالتزامها بهذا الطقس القديم والمحافظة عليه، مع تبادل التهاني والمصافحة بالرأس، لتكون محطتهم التالية زيارة المقابر.

في المنازل يحرص الأتراك على مشاركة زوارهم طعام فطور العيد، دلالة على انتهاء شهر الصيام، واستعداداً ليوم حافل بالمعايدات دائماً ما يبدأونه بـ "كبير العائلة"، فيده موضع قبلات الصغار والكبار، وبنك محبب يمنح مصروف العيد للصغار. عند انتهاء كل زيارة تكون قطعة سكر ورشة كولونيا على الكف الأيمن ختامها.

قد تبدو تقاليد العيد في تركيا مشابهة لما هو الحال عليه في دول الجوار، لكن للمتخاصمين فسحة صُلح في عيد السكر، إذ جرت العادة كما تروي أمل أن يُجمع المتخاصمون ليتم الصُلح بينهم بوجود وسيط يبادر لحل الخلاف مهما عظُم الخلاف و"انتهاز بركة العيد" حسب تعبيرها. وفي حال رفض الصُلح؟ ما من أحد يرفض الصلح فهو أمر معيب بحق المتخاصمين وبحق عائلاتهم، بكلمة helal olsun أي "سامحني" ينتهي الأمر.

بعد الصلح بين المتخاصمين تبدأ احتفالات خاصة بالنساء اللاتي يدعين الأقارب والجيران لتناول الطعام والذي غالباً ما تكون الشطائر والبرك والكعك وورق العنب أو ما يسمى في بلاد الشام بـ "يالنجي"، (في اللغة التركية المحشي الكاذب أي لا لحم فيه)، إضافة إلى شوربة اللبن على قائمة الأطباق الحاضرة على المائدة التركية في العيد. وقد تنتهي بحفلة شواء في المتنزهات العامة التي تحولت إلى مقصد للعائلات التركية، فالمتنزهات بدعم من البلديات أصبحت مزودة بمرافق ترفيهية للأطفال، حيث حظي الطفل التركي بدعم مرافقه الترفيهية فضلاً عن إقامة نشاطات واحتفالات منظمة من قبل البلديات كمسرح الدمى وغيرها.

يحاول بعض الأتراك مشاركة السوريين زياراتهم وعاداتهم في العيد، وهو ما اعتاد عليه يونس إيمره (23 عاماً) منذ 3 سنوات، ويتوجه عادة إلى منازل أصدقائه من السوريين في أنقرة تلبية لدعوتهم، وطلباً لأكلتي "الرز بالبازلاء" و"ملوكية" اللتين يحاول حفظ اسمهما لمعاودة طلب طهيها من أصدقائه مجدداً، "عادات العيد ليست مختلفة كثيراً عما هي عليه لدى إخوتنا من السوريين، إلا أني أراها فرصة لكسر حدة غربة إخوتي من السوريين والتعرف إلى المطبخ السوري، ما زالت الملوكية تتربع على قائمة أفضل الأكلات السورية بالنسبة إلي" ويضيف: "رغم بعد مساكن أصدقائي من السوريين عني لكن لا مشكلة لطالما أن المواصلات مؤمنة ومجانية طيلة فترة العيد".

"بيرم" أو العيد في تركيا فسحة للراحة والعودة إلى روتين الحياة مجدداً، فمن المعتاد رؤية المدن الكبرى تسدل ستائرها باكراً، بينما تبقى الأحياء ذات الطابع العلماني متفردة في السهر حتى ساعات الفجر الأولى، فالكل له طريقته في الاحتفال.

عملية «الاكسبريس السوري» كيف احتلت روسيا سوريا

د. علي حافظ

وفقاً للبيانات، تنقل روسيا آلاف الأطنان من الشحنات إلى سوريا كل شهر. ففي كانون الأول 2015، بعد عدة أشهر من بدء التدخل الروسي، قال وزير دفاعها سيرغي شويغو إنه خلال شهرين تم نقل 214 ألف طن من المواد المختلفة عن طريق الجو والبحر. في عام 2016 قال إنه تم إرسال ألفي طن من المواد يومياً إلى سوريا.

في صيف وخريف عام 2015، بدأ تدفق الإمدادات العسكرية واللوجستية من روسيا إلى سوريا. حصلت هذه العملية على اسم غير رسمي وهو "الاكسبريس السوري"، المأخوذ من "اكسبريس طوكيو" الذي استخدم فيه الأدميرال تاناكا سفناً غير مهيأة أصلاً لنقل المواد العسكرية، ليتمكن اليابانيون بمساعدته من تحقيق التكافؤ مع قوات الحلفاء عام 1942.

اعتبر "الاكسبريس السوري" أكبر عملية عسكرية تقوم بها روسيا خارج أراضيها، منذ مشاركة الاتحاد السوفييتي في الحرب الأفغانية. ويمثل الرحلات المنتظمة لسفن الإنزال والطائرات الروسية إلى سوريا من أجل توفير الأسلحة والذخيرة والعتاد لقواتها الاحتلالية وللجيش الأسدي؛ لأنه لا توجد حرب ممكنة بدون إمدادات كافية. من خلال كثافة الشحن واستمراريته منذ سنوات، يظهر أن روسيا قد قررت احتلال سوريا لنصف قرن أو أكثر. لا غرابة في ذلك إذا سمعنا فيكتور أوزيروف، رئيس لجنة الدفاع بمجلس الاتحاد الروسي، وهو يصرح: "لقد جئنا إلى سوريا بجدية ولفترة طويلة".

البدايات

بدأوا يتحدثون عن "الاكسبريس السوري" قبل فترة طويلة من بدء الحملة العسكرية الروسية في سوريا، ففي 11 كانون الثاني 2012، أوقفت سفينة "شاريوت" المملوكة لشركة ويستبرغ المحدودة والتي حملت علم دولة سانت فنسنت وجزر غرينادين، في ميناء ليماسول القبرصي، وبعد تفتيشها وُجد على متنها كميات كبيرة من الذخيرة. وعلى الرغم من الحظر الذي فرضه الاتحاد الأوروبي على إمدادات الأسلحة إلى سوريا، سمحت السلطات القبرصية لـ "شاريوت" بمواصلة الرحلة بشرط أن تقوم بتغيير مسارها. كانوا يتوقعون أن تذهب إلى تركيا؛ لكن السلطات هناك أعلنت وصول السفينة إلى القاعدة البحرية الروسية في طرطوس، حيث أزيلت الأجهزة التي توزع الإشارات حول موقعها.

في حزيران 2012، أوقفت قبالة ساحل اسكتلندا سفينة "العايد" المتجهة إلى سوريا، والمملوكة لشركة شحن روسية وتحمل علم كوراساو، بسبب عدم وجود رخصة تأمين. وذكرت التقارير وقتها أنه أثناء البحث تم اكتشاف ثلاث مروحيات هجومية من نوع Mi-25؛ لكن رغم ذلك سمح لها بالمغادرة، لتصل إلى وجهتها المقصودة.

بدأت موسكو -نتيجة ذلك- استخدام سفن الإنزال العسكرية لنقل الأسلحة والذخائر والمعدات وما لا ترغب وزارة دفاعها في ظهوره علناً، والتي يعد الهجوم عليها، من وجهة نظر قانون البحار، بمثابة هجوم على البلاد؛ ويستحيل قيام دول ثالثة باحتجازها أو إخضاعها للتفتيش. لكن كانت هناك مشكلة أولية تتلخص في نقص وسائل النقل البحري الروسي، لأن قدرات سفن الإنزال الكبيرة لم تكن كافية للتزويد بالإمدادات الخارجية. لذلك، تم الحصول على السفن وناقلات الحاويات المدنية القديمة على وجه السرعة ودمجها في الأسطول المساعد للبحرية الروسية.

سيناريو العملية

تخرج السفن من قواعدها في موانئ سيفاستوبول ونوفوروسيسك على البحر الأسود محملة حتى آخرها، ثم تمر عبر مضيق البحر الأسود وبحر إيجة والبحر الأبيض المتوسط

إلى شواطئ سوريا، حيث تفرغ حمولتها في ميناء البيضاء شمال مدينة اللاذقية وذلك لأسباب تتعلق بالسرية؛ لكن بعد بداية الحملة العسكرية الروسية أخذت تفرغ عند نقطة الدعم المادي والتقني الروسية في طرطوس. وفي خريف عام 2016 أطلق المهندسون الروس خط سكك حديدية من طرطوس إلى قاعدتهم العسكرية الجوية في حميميم، مما سهل إلى حد كبير نقل المعدات من الساحل.

المسار البحري

استُخدمت في البداية سفن إنزال كبيرة تابعة لأسطول البحر الأسود: "آزوف"، "قيصر كونيكوف"، "يامال"، "نيقولاي فيشنكوف"، "نوفوتشركاسك"، "كورولييف"، و"ساراتوف". وقد استقبلت القاعدة في طرطوس سفينتين على الأقل من هذه السفن كل شهر، وكل واحدة منها قادرة على حمل ما يصل إلى 12 دبابة وناقلة أفراد مدرعة، و340 جندياً، و500 طن من المواد المختلفة.

ثم استخدمت سفن أسطول بحر البلطيق: "ألكسندر شابالين"؛ وسفينتا الأسطول الشمالي . "ألكسندر أوستراكوفسكي" و"جورج المنتصر" . للقيام برحلات إلى سوريا. كما شاركت في العملية سفن الإنزال الكبيرة من مشروع 1171، حيث استخدمت ثلاث سفن: "ساراتوف"، "نيقولاي فيلكوف"، "نيقولاي فيلتشنكوف". وكل واحدة منها قادرة على حمل ما يصل إلى 20 دبابة، أو 45 ناقلة جند مدرعة، أو 50 شاحنة، و300–400 مظلي. ويمكن أن تحمل السفينة منها ما يصل إلى 1000 طن من المواد المختلفة، وتصل القاعدة في طرطوس سفينة واحدة على الأقل كل شهر.

وفقاً لمصادر تركية، فإن سفناً أخرى قد شاركت أيضاً في عملية "الاكسبريس السوري": "دفينيتسا 50"، "جيزيل 60"، "فولوغدا 50"، "قازان 60"، وسفن ذات حاويات كبيرة السعة: "سبارتا 1"، "سبارتا 2" و"سبارتا 3".

أحد سفن الشحن سفينة "نوفوروسيسك" التي لا تنتمي مباشرة إلى روسيا، بل تعود ملكيتها إلى تركيا. بيعت سابقاً إلى جمهورية بالاو التي تقع في مكان ما بين إندونيسيا وأستراليا؛ ومن ثم ظهرت ضمن سفن الأسطول الروسي المساعدة؛ ومع ذلك يمكن رؤية آثار الأحرف التركية على جسم السفينة الخارجي وقد طليت بالدهان على عجل.

تولت تركيا ضمان سلامة مرور السفن الروسية عبر مضيق البوسفور، خاصة بعد اغتيال السفير الروسي في أنقرة أندريه كارلوف. في هذا الصدد كتبت وسائل الإعلام أن أجهزة الاستخبارات في البلاد تراقب 146 نقطة على الساحل في طريق عبور السفن الروسية، حيث يمكن شن هجوم إرهابي بطريقة أو بأخرى، وأن جميع سفن روسيا في المضيق اصطحبت بقاربين من خفر السواحل التركي ومروحية تابعة للشرطة. لكن في العديد من الصور الفوتوغرافية لمرور السفن الروسية عبر مضيق البوسفور، لم تلاحظ أية مرافقة عسكرية تركية.

على موقع Turkishnavy.net يمكن العثور على سجلات تدل على حقيقة ظهور كل سفينة في مضيق البوسفور. مثلاً: منذ بداية عام 2017 حتى نهاية أيار من نفس العام، مرت 83 سفينة روسية عبر المضيق. لكن بالنسبة للناقلات وسفن الشحن الأخرى، فمن الصعب تقدير العدد الذي ذهب إلى سوريا خلال الفترة الماضية، حيث تستخدم روسيا تقليدياً هذا الطريق البحري لنقل البضائع إلى أوروبا.

ليس من المستغرب أن السفن حققت أكبر عدد من الرحلات في النصف الثاني من عام 2015 والنصف الأول من عام 2016، فخلال هذه الفترة كانت هناك حاجة ماسة إلى النقل السريع للقوات الروسية وتجهيزها. في وقت لاحق انخفض حجم حركة المرور، لكن "الاكسبريس السوري" استمر بالعمل في وضع منتظم.

المسار الجوي

أُجري أكبر عدد من الرحلات الجوية في 2015–2016، لكن انخفض عددها عدة مرات في الأعوام الماضية. وقد تم تفعيل المسار الجوي -إضافة إلى البحري- لأن عنصر الإمداد عبر الجو أمر بالغ الأهمية عندما تحتاج إلى تسليم شحنة أو أخرى في أسرع وقت ممكن. استخدمت لهذا الغرض طائرات من نوع "An–124"، و"Il–76"، و"An–72"، و"Tu–154".

يصل الشحن من روسيا إلى قاعدة حميميم، وإلى مطار دمشق يومياً تقريباً. وبواسطة طائرات "An–124" بالذات تم إيصال قاذفات مجمع صواريخ "S–400"، أثناء بدء الحملة في عام 2015. لكن الأجزاء الرئيسة وصلت إلى قاعدة البحرية الروسية في طرطوس عبر حاويات سفينة "سبارتا3–" الثقيلة، كما تقول جهات إعلامية.

كذلك تم نقل مروحيات متعددة الأغراض وشحنات كبيرة أخرى. وتستخدم الطائرات من نوع "An–72" في قاعدة حميميم للنقل الداخلي (إلى دمشق وحلب)، ولا سيما الزوار والموظفين والمستشارين والقوات الخاصة المهمة، ولكن الشحنات القيمة تصل من روسيا عن طريق طائرات "Tu–154".

لا أحد يعرف على ماذا اتفق الأسد مع الروس كي يدخلوا الحرب إلى جانبه ويساعدوا قواته المنهارة؛ لكن الوقائع على الأرض تدل على أنه وضع سوريا كلها تحت تصرفهم ليستبيحوها كيفما شاءوا، مقابل أن ينقذوه من سقوطه الحتمي ويعود متربعاً على جزء من عرشه الدموي، حتى لو كان الثمن قتل الناس وتهجيرهم وتدمير مدنهم وقراهم باستخدام الأسلحة الروسية.

الدراما السورية والخروج على المنتِج الحقيقي

مراد الحجي

لعل ما حدث مع أمل عرفة عقب المشهد الشهير في مسلسل "كونتاك" هو أوضح صور الدراما السورية، وأكثرها عمقاً وانتماءً إلى هذه الدراما، ومفهومها ودورها ووظيفتها.

ليس القصد هنا هو المشهد الذي ذاع صيته، والذي قدمت فيه أمل عرفة دور امرأة تدّعي موت ولديها أمام الكاميرا، وتتآمر مع المصورين ومع منظمة الخوذ البيضاء لتشويه الحقائق وفق ما يدعي المسلسل، ولا حتى اعتذار الممثلة عن هذا المشهد، وادعائها بأنها لم تقصد إهانة جراح السوريين فيه، بل القصد استبعاد الممثلة الشهيرة عن الإعلام الموالي بعد هذا الاعتذار، ورفض بث مقابلاتها، والتلويح غير المباشر إلى أن هذا الاعتذار هو خيانة.

هذه هي الدراما السورية تماماً وهؤلاء هم ممثلوها، لا يحقّ لهم لعب دور أكبر مما رُسم لهم، ولا يحق لهذه الدراما أن تؤدي وظائف بعيداً عما حُدد لها في السلطات المخابراتية التي تصنعها منذ عشرات السنوات، وتقدم فيها ما ترغب من رسائل، ومن جرأة أيضاً في النقد؛ الجرأة التي كانت مدعاة احتفاء الفنانين بدراماهم، حين كانوا يعتقدون أنهم يكسرون حاجز الرقابة بالفعل، ويتغنون بمناقشة قضايا الفساد في أعمالهم، وتقديم صورة المسؤول السوري الفاسد، الصورة ذاتها التي كانت المخابرات السورية تدعم وبقوة تقديمها وتصديرها، وإقناع الجمهور بها، بل وإقناع القائمين على الأعمال الدرامية بأنهم يؤدّون رسالة إنسانية جريئة في فضح الفساد حين يشاركون فيها..

الجميع كان يحدس أن تقديم الفساد بهذا الشكل مطلوب رسمياً قبل أن يكون مطلوباً جماهيرياً، مهمته الإيهام بالحرية من جهة، وتنفيس لكبت دفين لدى الجمهور من جهة أخرى، والأهم من ذلك الصورة الناصعة البراقة التي تظهر فيها السلطة العليا وهي تحارب الفساد أو تقضي عليه، فتقيل مسؤولاً صغيراً هنا، وتفضح آخر هناك، وتصفّي حسابها مع هذا وذاك إن شاءت تحت مسمى "الحرب على الفساد".

دخلت الدراما السورية منذ أكثر من عقد ونصف في دوامة الصورة النمطية: حرب يقودها الطبيب القادم من جامعات الخارج ليحكم بلاداً يأكلها الفساد، فيستجيب لمطالب جماهيره، ويشاهد المسلسلات الجريئة ثم يستيقظ ليعيد ترتيب البلاد.. لتصدّر في النهاية صورة "درامية" تماماً في الجرأة التي تعتبرها الدراما السورية أحد ثيماتها الأساسية، وفي الوقت ذاته تلعب الدور المرسوم لها تماماً، وتنتصر للنظام قبل أن تنتصر لأي شخص آخر. ولعل الإعلان التام وغير القابل للتأويل الذي أعلنته مجمل الأعمال الدرامية السورية التي أُنتجت في سوريا بعد -2011 بالتبعية الكاملة والمطلقة للنظام من خلال رسائلها وموضوعاتها، كان أوضح دليل على ماهية هذا الفن الذي فاض من شاشاتنا سنوات عدة، كان ممتعاً في بعض تجلياته لا شك.

لا يبدو المشهد مختلفاً كثيراً في تلك الأعمال التي تثير لغطاً حولها، كمسلسل دقيقة صمت، الذي لا يبدو بعيداً عن الشكل العام والوظيفة العامة لهذه الدراما، فما طرحه من جرأة ليس جديداً أبداً، بل وطُرح سابقاً بشكل أوضح وأنضج إن صح التوصيف، لكن قيام كاتب العمل (سامر رضوان) بإعلان موقفه الجريء من النظام السوري، بالتماشي مع عرض المسلسل، خلق ارتباكاً لدى أسرة المسلسل ومنتجيه، قبل الارتباك لدى المشاهد، وقبل أن يسأل أحد نفسه "هل هذا المسلسل معارض للنظام السوري؟" في الحقيقة لا يبدو كذلك من تفاصيل العمل، بل يبدو أنه يندرج ضمن صيغة أعمال تناقش الفساد، وترمي ما ترميه عليه.

سبقت المسلسل إلى ما ذهب إليه عشرات من الأعمال السورية -بعضها للكاتب نفسه- إلا أن وضوح رضوان فيما يرى، وموقفه المعارض كلياً دون هوادة لرئيس النظام السوري، جعل القضية تدور حول منتجيه، ومؤسسات النظام التي وافقت عليه، فجاءت التصريحات متضاربة بين مخالفات قانونية، وتبرئة هذا من ذنب ذاك؛ وهو ما صب بشكل واضح في جماهيرية المسلسل، وربما في سياق فهمه، وهو ما يحسب للكاتب، الذي يبدو أنه يريد بالفعل أن يقول للجميع، "هذا مسلسل معارض ولكن هذا هو السقف الذي يمكننا تقديمه".

ربما كانت رسالة الكاتب واقعية ومنطقية، وما اتخذه من موقف صرخة جريئة، وانسحاب أيضاً من العمل والإنتاج الفني داخل سوريا. انسحاب إن لم يعلنه فسيكون مفروضاً عليه بالتأكيد، فقد تجاوز الدور المحدد لكاتب درامي سوري، ووظف المسلسل في مكان لا يُسمح له بتوظيفه وفق مقاسات السلطات السورية، بالتالي خرجت الدراما السورية في هذا المسلسل عما طُلب منها، وهو ما لا يقبله المنتج الأساسي لهذه الدراما، أي المخابرات.

السودان على مفترق طرق

الاشتراكيين الثوريين المصريين
2 حزيران
عن موقع International Viewpoint
ترجمة مأمون الحلبي

لقد وصلت الثورة السودانية العظيمة إلى مفترق وصلت إليه كل ثورة في العصر الحديث. هل ستتخلص الجماهير من رأس النظام فقط، أم ستقتلع النظام من جذوره؟

منذ كانون الأول الماضي والسودانيون يخوضون معركة بطولية قدموا فيها العديد من الشهداء في صدامات مع مليشيات الدكتاتور عمر البشير. لقد نظم الثوريون السودانيون مسيرات ضخمة وإضرابات واعتصامات، وهي نشاطات لا تزال متواصلة أمام مقر قيادة الجيش السوداني في الخرطوم وخارج ثكنات الجيش في أقاليم أخرى حتى لحظة كتابتنا لهذه المادة. وبعد أن فرضوا إسقاط البشير في 11 نيسان، أزاح السودانيون رئيس المجلس العسكري عواد بن عوف في اليوم التالي.

منذ أن تولى عبد الفتاح البرهان رئاسة المجلس العسكري مع نائبه محمد حمدان دقلو، يحاول جنرالات البشير تحويل مسار الثورة وإفراغها من أي مضمون، وذلك بهدف شراء الوقت من أجل تجاوز الضربة الأولى التي سددها الثوريون للنظام. لم يضيع الجنرالات أي وقت، فقد كانوا على اتصال مستمر مع قوى الثورة المضادة في القاهرة والرياض وأبو ظبي والمنامة. لقد بدأ المال الخليجي يتدفق إلى الحكومة العسكرية، مع انهماك دكتاتور مصر السيسي بأقصى ما يستطيع بدعم المجلس العسكري دبلوماسياً واستخباراتياً، ويقوم الإعلام الخليجي بتلميع صورة حمدان دقلو(حميدتي) على شاشاته وهو يبعث برسائل تطمين أن الجيش السوداني سيواصل المشاركة في العدوان على اليمن.

أما في الشوارع فالأمور مختلفة. فقد نظم الثوريون السودانيون احتجاجين أمام السفارة المصرية لشجب التدخل من قبل السيسي وأجهزة الاستخبارات المصرية في الشؤون السودانية، وتكاثرت بسرعة اللافتات التي تعارض دول الخليج و "مساعداتهم"، إلى جانب مطالبات بانسحاب الجنود السودانيين من حرب في اليمن لا مصلحة لهم في خوضها.

ماذا عن "اتحاد المهنيين السودانيين" وقوى "إعلان الحرية والتغيير" اللذين يقودان التحشيد والتعبئة؟ لقد استجاب قادة المعارضة السودانية لدعوة المجلس العسكري "للتفاوض" بعد سقوط البشير وبن عوف، فظهرت روايات وتسريبات متضاربة عن خلافات مع المجلس العسكري. بعدها صدرت دعوة لتصعيد الاعتصامات، مع اتهامات أن المجلس العسكري كان يناور في محاولة للاحتفاظ بالسلطات السيادية، لكن المعارضة عادت إلى طاولة المفاوضات من جديد وكشفت في 28 نيسان عن تفاصيل الخلاف مع المجلس العسكري.

بينما تطالب المعارضة ب "مجلس سيادي مدني" ينضوي فيه كل الأعضاء الحاليين للمجلس العسكري (7 جنرالات) إلى جانب 8 أعضاء مدنيين، يرفض المجلس العسكري هذا الأمر، مطالباً عوضاً عن ذلك بإضافة 3 مدنيين فقط. وفي كلتا الحالتين سيترأس المجلس السيادي المدني شخصية عسكرية. هذا السقف المنخفض الذي وضعه قادة المعارضة لمطالبهم أشعل الغضب في صفوف كثير من الثوريين السودانيين، الذين عبَّروا عن خيبتهم في أداء المفاوضين، غير أن المشكلة لا تكمن في شخصيات المفاوضين بقدر ما تكمن في مجمل استراتيجية المعارضة. فعبر الموافقة على التفاوض مع جنرالات البشير والسماح لهم بالمشاركة في المرحلة الانتقالية، يحاول قادة المعارضة أن يوفقوا بين مطالب الشارع الثوري من ناحية، وجنرالات الثورة المضادة من ناحية أخرى. بالنسبة للثورة، هذه استراتيجية انتحارية. وبغض النظر عن شخصيات المفاوضين، فإنهم سيخونون آمال الثوريين.

الاعتصامات في الشوارع لوحدها لا تطيح بالأنظمة، ومنذ سقوط البشير لم يستخدم اتحاد المهنيين بشكل جدي سلاح الإضراب العام. في هذه الأثناء تواصل عجلة الاستغلال دورانها، بينما يتجمع الثوريون في الساحات للاحتجاج بعد أن ينتهي يوم العمل. إن إضراباً عاماً هو أمر ضروري لمواجهة المجلس العسكري مع الحفاظ على الطبيعة السلمية للحراك. وفي بعض الأماكن، ودون انتظار دعوة اتحاد المهنيين، يحتشد العمال والموظفون في مصانعهم ومكاتبهم للمطالبة بعقود عمل دائمة ونقابات مستقلة، وطرد المدراء أتباع النظام القديم من أماكن عملهم. لقد شاهدنا ذلك يحدث في مصر عام 2011، عندما استمر الإسلاميون والليبراليون بالهجوم قائلين "الإضرابات أمر أناني، فالآن ليس هو الوقت المناسب لذلك!"

إلا أن هذه الإضرابات هي قلب الثورة النابض: إن تصعيد هذه الإضرابات إلى إضراب عام هو مسألة حياة أو موت. وثمة تحدٍ آخر: مع مَن بالضبط مِن العسكريين ينبغي أن يتفاوض الثوريون؟ ومَن مِن العسكريين ينبغي أن يُسمح له بالمشاركة في المرحلة الانتقالية؟ إن التمرد الذي كان يتنامى في الصفوف الدنيا للضباط وبين الجنود كان من الأسباب الرئيسية لاندفاع الحكم العسكري للتخلص من البشير خشية انهيار الجيش والنظام. أصحاب الرتب الدنيا أولئك، وهؤلاء الجنود، هم من يتوجب على الثوريين أن يبحثوا عن التفاوض والتحالف معهم، ويحاولوا إشراكهم.

قد يتهم البعض الثوريين بمحاولة جر البلاد إلى حمَّام دم، لكن حمَّام الدم الحقيقي سيكون الضربة الحتمية التي سيوجهها الجنرالات إلى الثورة. إن الحفاظ على ثورة سلمية يتطلب تحركاً سريعاً نحو إضراب عام ومناشدة الرتب الدنيا في الجيش الانضمام إلى هذا الإضراب.

كريم شيباني وابنته سهير

فضل المخابرات الجوية على معلم المدرسة السابق، الناشط البعثي ثم الناصري ثم الناصري المنشق، كريم شيباني وعلى عائلته لا يُنسى، إذ احتضنته باكراً في سبعينيات القرن الماضي وأوصلته إلى مجلس الشعب (1986–1990)، وامتدت أفضالها لاحقاً إلى ابنته سهير وجعلت منها مذيعة نافذة في التلفزيون.

ربما كان كريم الشيباني أول من ألّف كتاباً عن حافظ الأسد، فبعد أشهر من انقلابه أصدر الشيباني كتاب "حافظ الأسد شخصية تاريخية في مرحلة صعبة"، ما جذب انتباه ابن بلدته بيت ياشوط، محمد الخولي رئيس المخابرات الجوية إليه، بالرغم من صغر سن الشيباني الذي لم يتجاوز الـ(23) حينها.

وبتوجيهات الخولي وتحت رعايته صاغ كريم حياته السياسية، من صفوف البعث إلى صفوف "حزب الوحدويين الاشتراكيين" قبل أن ينشقّ عنه ليؤسس حزبه الخاص "الحزب الوطني الديمقراطي". ومن موقعه كأمين عام لهذا الحزب أراد الشيباني أن يدهش جميع منافسيه ويدهش حافظ الاسد ذاته، بطرح "نظرية سياسية" جديدة تنطلق من رؤى الأسد وأفكاره وسيرته، وتتجسد بـ"الحزب الأسدي" على صورة الأحزاب الناصرية. فحافظ الأسد، وفق دفاعات الشيباني عن مشروعه، لا يقل -بل يزيد- عن جمال عبد الناصر الذي أُسستْ على اسمه أحزاب كثيرة. لكن تعقل حافظ، ثم بلاهة بشار ولا مبالاته بالأنماط القديمة، أفشلا مشروع الشيباني الذي ظل يحلم، حتى وفاته في العام 2007، بأن يكون منظّراً أول لهذه الحركة الأسدية وحزبها.

لم ينقطع ذكر الرجل، فزوجته تنشر في ذكرى وفاته السنوية خاطرة عن مناقبه، تحمل فيها على خصومه الفاسدين وتصفه بـ"أبو الفقراء"، فيما تعاهده بناته وأبناؤه وأحفاده، الذين يعمل نصفهم في وزارة الإعلام بين التلفزيون والجرائد الرسمية الثلاث، على الحفاظ على إرثه، ويؤكدون على بقائه بينهم "فكراً وروحاً رغم رحيل الجسد".

من ذرية كريم شيباني تبدو ابنته الإعلامية سهير أوسع الجميع شهرة ونفوذاً إذ استطاعت، وهي أول من وُظّف في التلفزيون من العائلة في تسعينيات القرن الماضي، أن تعيّن زوجها الضابط منير علي بعد تسريحه كمعدّ برامج ثم مخرج، وتعيّن ابنتهما بتول مذيعة تقدم اليوم برنامج "سوا ورح نبقى سوا" الذي تعدّه الأم ويخرجه الأب على شاشة "الفضائية السورية". فيما يقدّم كريم الصغير، الذي عيّن بفضل ابنة عمه النافذة في التلفزيون، نشرات أخبار وتقارير ميدانية.

لا تبالي سهير بتقدم عمرها ولا بالشائعات والفضائح التي تلاحقها، فما تزال لها حصة في إدارة المخابرات الجوية تُخرس الألسنة وتحبط التقارير المرفوعة ضدها، وما تزال فاقعة الألوان تشد الأعين، نشطة وقادرة على طرق باب أي رئيس شعبة أو إدارة أو فرع أو وزارة وأخذ ما تريد. ولو كان لها عشر بنات لجعلتهن مذيعات، ولو انفصلت عن زوجها الحالي وتزوجت بضابط غيره لجعلته هو الآخر مخرجاً أو معد برامج.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina

/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

مزارع بلدة الهبيط - ريف إدلب الجنوبي

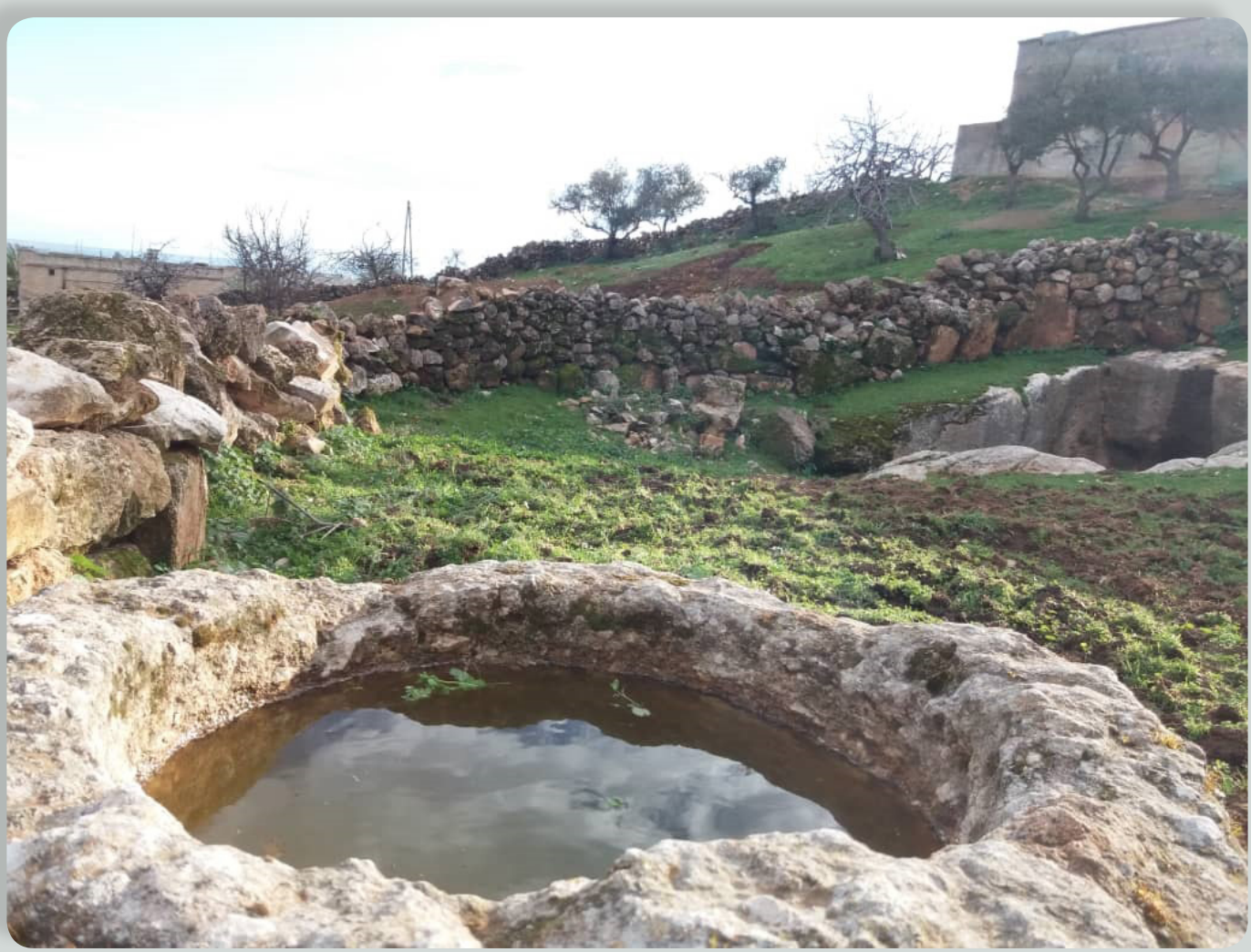

عدسة أسامة الشهاب - خاص عين المدينة